491

HARLEQUIN

روايات أحلام

ملاك بلا قلب

سارة مورغن

WWW.HAMASATREWAIYA.COM
JEWELRY

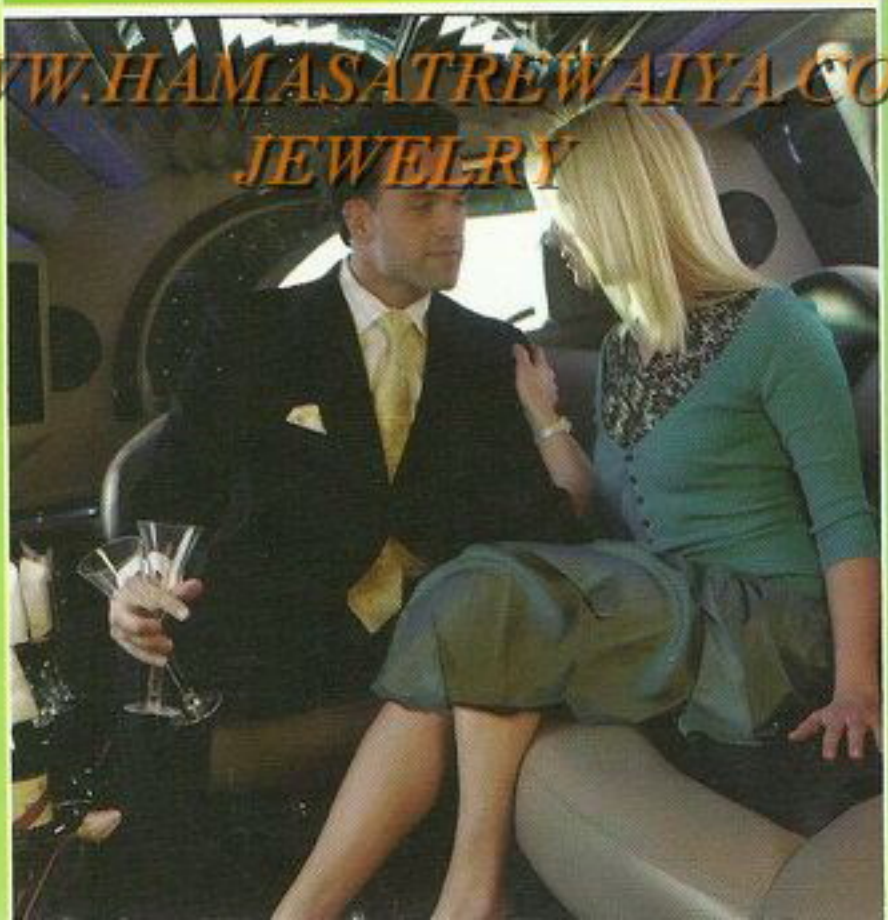

ملاك بلا قلب

في أعماق الأدغال البرازيلية يعيش أحد الأثرياء في عزلة. في مقره المعزول كل ما يريده أو يشتهيه...

إنه رافايل كوردوروا. لا عمل ولا طلب لا وقت لديه للهو والحب. فهو لم يجد حتى الآن امرأة غير خائنة... كلهن برأيه خطيرات!

وها هي غريس ثاكر الشابة البريئة تحط في هذه الأدغال سعياً لإنقاذ شركتها. لكن رافايل لم يمنحها إلا عشر دقائق لتقنعه بتقديم المساعدة. عشر دقائق لتقرر بين الرحيل فوراً أو تسديد ديونها بطريقة ما!

WWW.HAMASATREWAYAT.COM
JEWELRY

ISBN 978-9953-15-526-5

لبنان	3000 ل.ل	البحرين	1 دينار
سوريا	100 ل.س.	السعودية	10 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	8 جنيه
الكويت	750 فلس	المغرب	15 درهم
الإمارات	10 دراهم	تونس	2.50 دينار
قطر	10 ريال	عمان	1 ريال

١ - مقابلة مع الذئب

ما الذي تفعله هنا بحق السماء؟

انخفضت الطوافة عمودياً فوق الأشجار، ما جعل غرايس تشعر بالغثيان. حدقت إلى الخارج، وراحت تنظر إلى المساحات الشاسعة من الغابات الاستوائية، التي تشكل غطاء أخضر أشبه بمظلة كثيفة، تحجب تحتها أرض الغابة المليئة بالأسرار. لو أن الظروف مختلفة لشعرت بالفعل أنها أسيرة الحياة البرية، التي تحبس أنفاس كل من يراها لشدة جمالها، لكنها الآن متوترة جداً، ولا تستطيع التفكير بأي شيء سوى ذلك الاجتماع الذي ينتظرها مع ذلك الرجل.

ما الذي تفعله هنا مرتدية هذه البذلة السخيفة، وهي تطير فوق الغابات الاستوائية البرازيلية رامية بنفسها تحت رحمة رجل، من الواضح أنه لا يعلم ما معنى هذه الكلمة؟

رافايل كورديرو!

إنه رجل خارق، خطير... كلمات كثيرة تتسارع إلى ذهنها عندما تفكر فيه، وهي لا تستطيع أن تصفه بكلمة لطيفة أو حتى مقبولة. هو فاحش الثراء، ويتمتع بسلطة أشبه بسلطة الملوك والرؤساء، كما أنه مشهور بذكائه لدرجة أن الصحف الاقتصادية تشبهه بجهاز كومبيوتر متنقل، وهذا أمر لا يطمئن. هذا ما فكرت به غرايس بحزن وهي تتشبث بمقعدها، معبرة عن نفورها من التكنولوجيا.

تحت الطوافة، بدت الأشجار وكأنها تنقسم، ليظهر بينها نهر كبير

ينساب عبر ممر ضيقٍ وعميقٍ فوق الصخور والمنحدرات.

استدارت غرايس نحو القبطان، باحثة عن أجوبة للأسئلة التي تتسارع في رأسها. قالت: «أليس لديه ممتلكات في كل أنحاء العالم؟ لماذ يعيش إذاً في هذا المكان المنعزل عن الدنيا؟».

أبقى الرجل نظره مركزاً على أعالي الأشجار، وأجاب: «لأن العالم لم يترك هذا الرجل وشأنه، لذا فهو يحب الحفاظ على حياته الخاصة بعيداً عن الآخرين».

هذا يتوافق تماماً مع ما سمعته عنه: عديم الشفقة، فاقد للإحساس، لا يشعر بأية عاطفة نحو أحد، بالإضافة إلى قائمة من الصفات السلبية التي لا تنتهي. على الرغم أن الرجل لا يُجري أي مقابلات صحافية، إلا أن المجتمع يملك معلومات كثيرة عنه.

- هل هو منعزل لأنه يحب الوحدة؟

- حسناً! لا يمكنني القول إنه لطيف وودود، إن كان هذا ما تسألين عنه. لكن يبدو أن النساء لا يرفضنه كونه خطيراً وسيء السمعة. على العكس من ذلك، النساء يحببنه ويأتين إليه باستمرار، فالنساء يتنشقن رائحة السلطة على بعد مئات الأميال.

المال والسلطة! أشار القبطان بإصبعيه إلى هاتين الميزتين، ثم نظر نحو غرايس، وتابع:

- أنتِ لا تبدين من نوع النساء اللواتي يزرنه دائماً أواللواتي اعتدنا رؤيتهن.

النساء اللواتي اعتاد رؤيتهن؟! تساءلت كيف تمكن القبطان من معرفة أنها ليست صديقة رافايل كورديرو؟ كادت غرايس تضحك بصوت عالٍ قبل أن تقول: «لدي اجتماع عمل مع السيد كورديرو، فشركته قامت بالاستثمار في عملي، وهي المساهم الأساسي برأس المال».

ذلك الاستثمار الذي بدّل حياتها بشكل كامل!

- إنه -كما يقال- الملاك الحارس للعمل، أعتقد أنكَ تعرف ذلك، ما دمت تعمل معه.

- ملاك؟ رافايل كورديرو... ملاك؟

انفجر القبطان بالضحك، ما جعل الطوافة تندفع نحو أعالي الأشجار بسرعة مخيفة.

- إنه مجرد تعبير كلامي يعني أنه يستثمر أمواله في مشاريع صغيرة تثير اهتمامه.

كان كورديرو مهتماً فعلاً بعملها... حتى وقت قصير. عاودها ذلك الألم في معدتها، فرفعت غرايس حقيبتها ووضعتها في حضنها وضغطت عليها، محاولة أن تستعيد ثقتها بنفسها.

استمر القبطان في الضحك، وأخيراً علّق قائلاً: «ملاك؟ لا أعلم ما الذي قام به ليجمع ثروته، لكن يمكنني أن أخبرك بأمر واحد: هذا الرجل ليس ملاكاً على الإطلاق».

رفضت غرايس أن تسمح له بإخافتها، فجلست مستقيمة الظهر ثم قالت: «أنا لا أصدق كل ما يذكر في الصحف».

- هذا واضح، وإلا لما كنتِ هنا.

نظر بسرعة خاطفة نحوها، وغابت الابتسامة عن وجهه المتغضن، لتحل مكانها نظرة شفقة، قبل أن يتابع: «يمكنني أن أرى أنك فتاة شجاعة ولديك أفكار مستقلة، وهذا أمر جيد سيساعدك على مواجهة الحياة هنا في الغابات».

- لست بحاجة إلى الشجاعة من أجل الذهاب إلى اجتماع عمل.

- لكن ذلك يتوقف على الشخص الذي ستجتمعين به للبحث في تلك الأعمال...

رأت غرايس الجبال ترتفع وتنخفض أمام عينيها، ما إن بدأت الطوافة بالانحدار والمرور عبر وادٍ مليء بالأشجار الخضراء.

WWW.LIYASATEEMIYA.COM

- . . .وعلى مكان الاجتماع. لا يزور الكثير من الناس الذئب في وجاره.

على الرغم من تصميمها على أن تحافظ على أفكارها منفتحة، شعرت غرايس بجفاف في فمها. سألته: «أنت تسميه الذئب؟!».

- لا، لست أنا من يسميه كذلك. الجميع يطلقون عليه هذه التسمية. أنا بكل بساطة أناديه «الرئيس».

حرك القبطان يديه على أجهزة التحكم، فهبطت الطوافة بقوة. شعرت غرايس بألم في كل مكان من جسمها وليس فقط في معدتها. أغمضت عينيها للحظة قصيرة محاولة ألا تتقيأ.

قالت بتصميم: «أنا متأكدة أن السيد كورديرو رجل منطقي جداً».

- أحقاً؟

ركز الرجل نظره على نقطة بعيدة تحتهما، وتابع: «من الواضح أنك لم تلتقيه من قبل. تماسكي، فنحن نهبط».

- أحقاً؟

حدقت غرايس إليه بحذر. تضاءلت مخاوفها من لقاء رافايل كورديرو في الوقت الراهن بسبب الجملة التي تفوه بها، فسألته: «هل تقصد أننا نهبط لنتوقف على البر أم أننا سنتعرض لحادثة تحطم؟».

لم يجبها القبطان، بل ضاقت عيناه، وظهر التوتر على وجهه وهو يعمل على تشغيل المكابح. للحظة اعتقدت أنهما سيهبطان فوق الأشجار، لكن في اللحظة الأخيرة ظهر أمامهما مدرج صغير، وانحدرت الطوافة، لتستقر على الأرض مثل حشرة عملاقة.

ابتسمت غرايس بإعياء، بعد أن زفرت الأنفاس التي كانت تحبسها في صدرها بسبب الخوف. قالت: «آه! لم نتعرض لحادثة تحطم. . . راحت تدور في رأسي صور خيالية عن حوادث وضحايا».

- إن كنت ستقابلين كورديرو فهذا أمر طبيعي.

أطفأ الربان المحرك أمامه، وتابع قائلاً: «رأيت رجالاً يبكون بعد مرور خمس دقائق من لقائهم به. خذي بنصيحتي، وحافظي على رباطة جأشك. إذا كان الرئيس يكره شيئاً ما فهو البكاء».

أردف بعد قليل: «أهلاً بك في الغابات الإستوائية في أطلنطا آنسة تاكر. هذه الغابات هي من أكثر البيئات الطبيعية خطراً في عالمنا».

- هل ستتركني هنا. . . في وسط المجهول؟

أدارت غرايس رأسها، ونظرت إلى الخارج عبر النافذة. عندها فقط رأت المنزل، وهو بناء يبدو أنه شُيد فقط من الزجاج والخشب. بدا المنزل مندمجاً بالغابة بطريقة ذكية، تجعله يبدو وكأنه نما بطريقة طبيعية بين الأشجار. وقالت: «آه، إنه رائع. مذهل».

ضحك القبطان، وقال: «رافايل كورديرو. . . ملاك!».

استمر في الضحك وهو يمرر يده فوق جبهته ليزيل قطرات العرق عنها، ثم تابع: «انزلي وابقي رأسك منخفضاً حتى تصبحي بعيدة عن شفرات الطوافة. أنا سأعود إلى ريو لأحضر رزمة، ثم سأذهب إلى ساو باولو».

جلست غرايس ملتصقة بمقعدها. سألته: «ألن تنتظرني؟ قال لي إنه يستطيع مقابلتي لعشر دقائق فقط».

بعد أن قالت جملتها الأخيرة أدركت أن من السخافة أن تسافر كل هذه المسافة من أجل عشر دقائق فقط. لكن، أي خيار آخر أمامها؟ كان عليها القدوم وتحمل مشقة السفر بدل التخلي عن عملها بكل بساطة. أملها الوحيد أن يوافق كورديرو على إعطائها المزيد من الوقت، لأنها تعلم أن عشر دقائق لن تكون كافية لتتمكن من الخروج من المأزق الذي أوقعت نفسها فيه.

- إن تبقى منكِ شيء بعد انتهاء الاجتماع، سأعود لألتقط الأشلاء الممزقة. خذي الممر الأخير على اليسار، ولا تحاولي الابتعاد عن

WWW.RAMSATREWAYA.COM

الممر مهما كان السبب. هذه غابة، وليست مجرد متنزه، فاحذري من الحيوانات البرية.

الحيوانات البرية؟! كانت غرايس منشغلة البال بالاجتماع، ولم تفكر للحظة بالحيوانات البرية والطبيعة القاسية هنا. حدقت بحذر وقلق نحو الغابة الكثيفة التي تحيط بهما؛ هناك أجزاء كاملة منها في الظل، في حين أن هناك أماكن أخرى تخترقها أشعة الشمس، التي تتسلل من خلال الأشجار الغضة تاركة أنواراً متفرقة في أرض الغابة. هل هذا من صنع خيالها أم أن كل شيء يتحرك من حولها؟

سألته: «هل تقصد الحشرات؟».

ابتسم الرجل بمكر، وأجاب: «هناك أكثر من ألفي نوع من الحشرات المختلفة الأحجام والأشكال حسب الإحصاء الأخير، وكلها تقريباً لها شكل الحشرات التي نعرفها».

شدّت غرايس تنورتها حتى ركبتيها، وتمنت لو أنها ارتدت سروالاً. سألته: «ماذا عن الأفاعي؟».

- آه! بالطبع، هناك أفاعي.

اتسعت ابتسامته ما إن نظر نحو حذائها الأنيق غير المناسب لهذا المكان، وتابع: «كما أن هناك دببة النمل العملاقة، الفهود وسواها...».

قاطعته مبهورة الأنفاس: «حسناً! أعتقد أنني سمعت ما فيه الكفاية».

أحست أنها في أي لحظة الآن ستتعلق بذراعه، وتتوسل إليه أن يعيدها إلى بلادها. لكنها قالت: «أنا متأكدة أن السيد كورديرو ما كان ليعيش في هذا المكان لو أن الحياة هنا خطيرة كما تقول».

أندفع رأس الرجل إلى الوراء، وراح يضحك بصوت عالٍ.

- من الواضح أنك لا تعرفين أهم الأشياء عنه. إنه يعيش هنا بسبب

الخطر أيتها الطفلة الدمية. هو يشعر ببعض السأم، ولهذا يحب أن يعيش الحياة على حد السكين، كما يقال.

الطفلة الدمية؟! الطريقة غير المبالية التي تحدث بها عنها والتي قلل بها من أهميتها أثارت غضبها، وهذا ما دفع الخوف عنها فنسيت توترها. شعرت غرايس طوال حياتها بالخوف والاضطهاد. لطالما شكك الآخرون بقدراتها وقللوا من شأنها، إلاّ أنها أثبتت لهم خطأهم مراراً وتكراراً. لقد حاربت وانتصرت أمام كل العقبات. حتى واجهتها هذه المشكلة... الآن هي تشعر بالخطر وبالخوف من أن تخسر كل شيء عملت لأجله، وهي لن تسمح بحدوث ذلك. من المحتمل أن تكون هذه أهم معركة في حياتها، وعليها أن تربحها. يجب أن تربح! لكي تربح، عليها أن تنسى أنها ربما تكون أسوأ شخص في العالم يمكنه تحمّل مسؤولية التحدث عن الأرقام مع البليونير البرازيلي الذي يملك دماغاً يعمل بسرعة جهاز الكومبيوتر. هناك أشخاص عدة يعتمدون عليها، وإن فشلت، فهم سيخسرون مورد رزقهم. هذه هي المشكلة بكل بساطة. إن طالب رافايل كورديرو باسترداد قرضه، سينتهي عملها، وستخسر كل ما لديها.

شعرت بالرطوبة والحرارة الخانقة تلتفان حولها. أبعدت خصلة من الشعر الرطبة عن وجهها، ثم رفعت عينيها إلى الأعلى، ملاحقة بنظرها الخطوط المستقيمة للأشجار المرتفعة، التي تبدو مذهلة حقاً. تخيلت نفسها في جنة رائعة بعيدة، ومن الصعب عليها أن تتذكر أن مدناً كلندن أو ريو دي جنيرو يمكن أن تكون حقاً موجودة.

- ألا يشعر بالخوف من العيش هنا في العراء؟

مضغ القبطان قطعة اللبان، قبل أن يبتسم بوقار، ويعلق قائلاً: «كورديرو؟ هو لا يخاف من أي شيء».

أدركت أنها لو سمعت المزيد عن هذا الرجل، فلن تحظى بالشجاعة

WWW.HAMSATREWAYA.COM

الكافية للقائه، فما بالك إن أرادت مواجهته والثبات على موقفها!

خرجت غرايس من الطوافة، وسرعان ما شعرت بساقيها ترتجفان. في تلك اللحظة الحرجة لم تكن قادرة على التمييز أكانت خائفة أكثر من الغابات أم من رافايل كورديرو.

في عالم مهووس بالشهرة، يقابل رافايل كورديرو كل دعوة يُطلب منه التحدث فيها عن نفسه بكره ورفض. هو ليس بحاجة إلى القيام بذلك. إن أي شخص آخر بإمكانه القيام بالأمر مكانه، فالصحف مليئة بأخبار الشقراوات اللواتي تم إقناعهن بنشر الأخبار عنه مقابل مبلغ مناسب من المال. لذا فإن العالم بأسره يعلم مدى الجهد المرير الذي بذله للحصول على ملايينه، كما يعلم أنه زير نساء، والأهم من ذلك كله أنه مصمم بشدة على عدم التورط بالزواج مرة ثانية. أقدم كورديرو على الزواج من قبل، وفي أقل من ثلاثة أشهر كانت أخبار انفصاله عن زوجته تملأ الصحف بقصص استمرت لفترة أطول مما استمر زواجه. تبين أن من المستحيل العيش معه. أنهى الرجل زواجه عبر رسالة إلكترونية. بالطبع! إنه لا يهتم إلا لجني المال والمزيد من المال...

تعلم غرايس جيداً، حتى قبل اضطرارها للصراع من أجل عملها، أنه الرجل المناسب الذي بإمكانه إخراج أسوأ ما فيها. لن تقوى على النظر إلى وجهه! هذا ما قالته لنفسها. حسناً! إن لم تنظر إليه، فلن يُربط لسانها ولن تتلعثم. ستتظاهر أنها في غرفة الجلوس الصغيرة في منزلها، تتحدث إلى المرآة، كما تفعل دوماً عندما يكون لديها تقديم لعرض هام، وعليها أن تحفظه جيداً.

شعرت غرايس أن الألم في معدتها يزداد قوة، وهذا المرة ليس بسبب الدوار الناتج عن الرحلة بالطوافة، بل بسبب كل ما له علاقة بماضيها. في أوقات كهذه، أوقات مهمة جداً لها، تتجمع الذكريات في ذهنها مثل موجة عملاقة، منتظرة إياها لتطفو وتلتهمها. بالنسبة لها

هذا اللقاء هو الامتحان الأخير، وهي لن تفشل فيه، لأنها ببساطة لا تستطيع أن تفشل. هناك أمور كثيرة متوقفة على نجاحها.

ما من سبب يجعلها تشعر بالخوف من رافايل كورديرو! أكدت ذلك لنفسها وهي تمرر يدها فوق تنورتها، وتجبر نفسها على السير قُدماً نحو الممر الخشبي الممتد فوق أرض الغابة. حياته الشخصية مهما كانت سيئة لا تعنيها. هذا الاجتماع يتعلق بالعمل، ومهما كان نوع الأخبار التي تتناول سمعته السيئة، فهو رجل أعمال مثل والدها. عندما تُريه خطتها المتعلقة بتطوير العمل بهدف تحقيق المزيد من الأرباح، سوف يتعامل معها بإيجابية، ويبدل رأيه بشأن إلغاء القرض. بذلك سوف تنقذ مستقبل الأشخاص الذين يعملون معها، وحينها تستطيع السفر إلى بلادها تاركة الغابات والأفاعي والبليونير البرازيلي وراءها.

حرارة المنطقة الاستوائية جعلت بذلتها تلتصق بجسدها. فجأة أدركت غرايس أن اختيارها لهذه البذلة من أجل لقائها مع هذا الرجل ليس موفقاً، فهي لا تشعر بالراحة في ثيابها. انحنت لتزيل قشة علقت بحذائها بسبب الأغصان الملقاة على الأرض تحت قدميها. تمسكت غرايس بحقيبتها، وتمنت فجأة لو أنها قرأت من جديد الأرقام للمرة الأخيرة وهي في الطوافة.

لكن أي فرق سيشكل ذلك؟ بمساعدة والدها، تمكنت من حفظها عن ظهر قلب. ما من ورقة في حقيبتها غير حاضرة في ذاكرتها. ضغطت بقوة على حذائها، ثم وقفت مستقيمة.

عندها رأته!

كان يقف مباشرة أمامها. بدا رافايل كورديرو غامضاً وخطيراً. كان جسده ساكناً، لكن عينيه راحتا تحدقان بها وتراقبانها.

لم تكن غرايس مستعدة أبداً لهذه المواجهة مع رافايل، فتوقفت عن التنفس. اختفت الطوافة والغابات الاستوائية وكل مشاكلها،

WWW.HEMISATIRIMAGE.COM

واضمحلت في مؤخرة ذاكرتها، ولم تعد تدرك شيئاً سواه. سمعته الشهيرة ساعدت ذاكرتها على خلق صور حسية بعيدة عن الواقع، ما دفعها في تلك اللحظة لتتوقف عن القيام بأي شيء سوى التحديق به، تماماً كما فعلت مئات من النساء قبلها لدى رؤيته. تشابكت نظراتهما. نظرته المميتة حبست الأنفاس في صدرها، فاختفت الأفكار من رأسها. للحظة غريبة لم تستطع أن تتذكر أي شيء عن نفسها. لم تستطع أن تتذكر ما الذي أتت لتفعله هنا.

- آنسة تاكر؟

النبرة القاسية في صوته الرجولي العميق كانت كافية لتوقظها من تأملاتها حول وسامته الطاغية. تمنت غرايس بيأس ألاّ يكون قد لاحظ ردة فعلها المحرجة. فكرت أن من الصعب عليها أن تبدو هادئة وعملية جداً، كذلك من الصعب عليها ألاّ تنظر إليه، فحضوره الطاغي ووسامته يجعلانه أشبه بنجوم الأفلام السينمائية. وقفت هناك وهي تفتح فمها بدهشة، محاولة أن تذكر نفسها أن هذا الرجل أقل ما يُقال فيه إنه عديم الرحمة قاسي القلب. وبالنسبة لها، هذه ليست سمات مميزة وناجحة لأي شخص كان.

نظرت إلى عينيه الساخرتين، وعلمت في هذه اللحظة أن قبطان الطوافة لم يقل سوى الحقيقة عنه، فهذا الرجل ليس ملاكاً على الإطلاق! أجبرت غرايس ساقيها على التحرك والسير نحوه، حاملة حقيبتها الصغيرة بيد، وفي اليد الأخرى أمسكت حقيبة العمل بقوة لتشعر ببعض الدعم المعنوي.

حتى بدون ملايينه، رافايل كورديرو قادر على جذب النساء، بشعره الأسود الداكن المصفف بعيداً عن وجهه القاسي الذي يعطيه جمالاً وفتنة، وبشرته الذهبية التي تشير إلى أصوله البرازيلية. بدت قميصه الناعمة البسيطة ملتصقة بكتفيه العريضتين القويين.

راقبته غرايس لترى إن كان سيبدي أي ردة فعل لدى وصولها، لكن ملامح وجهه لم تتبدل. لم تظهر أي ابتسامة على فمه، كذلك عيناه القاسيتان الثاقبتا النظرات لم تظهرا أي بوادر للترحيب بها. يبدو أنه ليس ودوداً على الإطلاق، على العكس تماماً من وسامته. النظرة التي رمقها بها جعلتها تكاد تسرع بالعودة عبر الممر لتقفز إلى الطوافة المغادرة. لو أنها لا تعرف الكثير عنه لاعتقدت أنها سببت له الإزعاج بطريقة ما، لكنها تعلم أن هذا أمر مستحيل. كيف يمكن لها أن تزعجه؟ هو لم يلتقِ بها من قبل. عدائيته هذه ما هي إلا انعكاس لشخصيته، وليست ناتجة عن علاقة العمل بينهما. ببساطة، هو ليس شخصاً محباً للناس، ومن الواضح أنه لن يقوم بأي استثناء من أجلها.

هذا الأمر لا يهمها أبداً! هذا ما قالته غرايس لنفسها بحزم، فهي لا تريده أن يُعجب بها. كل ما تحتاجه منه هو أن يوافق على عدم سحب أمواله. عملت جاهدة على التركيز على هذا الأمر، واجتازت المسافة القصيرة الفاصلة بينهما، حتى أصبحت تقف أمامه. قالت: «يسعدني لقاؤك، سيد كورديرو».

زمّ رافايل شفتيه، ولمعت عيناه بنفاد الصبر قبل أن يقول: «هذه ليست زيارة اجتماعية، وليست حفلة للأطفال آنسة تاكر. أنا لا أريد، ولا أتوقع سماع عبارات التهذيب. كما أنني لا أحب المقدمات. لا أهتم بحالة الطقس ولن أسألك كيف أمضيت رحلتك. إن وجدت المقدمة لاجتماع العمل مزعجة، يمكنك المغادرة الآن».

مساء سعيد لك أيضاً! فكرت غرايس بذلك، وهي تحاول أن تخفي خيبة أملها المتزايدة. فجأة شعرت أنها ترغب في القيام بما اقترحه عليها بالتحديد. حدقت بتلك العينين السوداوين القاسيتين أمامها، وأرادت المغادرة فعلاً. لكن الطوافة أصبحت بعيدة الآن، كما أن سبب زيارتها ما زال مخبأ في حقيبة يدها. لا تستطيع أن تغادر الآن. لديها

WWW.AMIRSATREMAY4.COM JEWELRY

عمل عليها القيام به. هناك أناس يعتمدون عليها.

قالت بسرعة، متمنية ألا يتمكن من ملاحظة ارتجاف ساقيها: «بإمكاني أن أقدم لك الوقائع والأرقام. لدي كل الوثائق في حقيبتي، وكل ما تحتاجه لمساعدتك على اتخاذ قرارك».

- لقد اتخذت قراري، وجوابي لا.

ازدادت ملامح وجهه قسوة، ورأت غرايس النبض ينتفض في إحدى عضلات خده الأملس.

- لكنك اتخذت قرارك قبل أن تتسنى لنا الفرصة للتحدث.

مررت يداً رطبة فوق تنورتها، رافضة السماح له بأن يسحق طبيعتها المتفائلة. تابعت: «آمل أن تعيد التفكير بالأمر عندما أشرح لك ما الذي يحدث».

- ولماذا علي أن أفعل ذلك؟

انتشر القلق في أعماقها، فقالت: «ما إن ترى الأرقام والخطط المستقبلية ستبدل رأيك بسحب دعمك المالي».

راقبت وجهه متأملة، باحثة عن شيء ما... أي شيء يشير إلى أنه موافق على التفاوض بشأن القرض... أي شيء يدل على أنها لم تضيع وقتها بالقدوم إلى هنا، لكنه لم يعطها أي دعم أو تشجيع على الإطلاق. تعمد رافايل مراقبتها فقط. من وراءها، ومن بين الأشجار سمعت عويلاً حاداً، تبعه صوت بدا كضحك شخص معتوه. أدارت غرايس رأسها، وجالت بنظرها عبر الغابة الكثيفة التي تحيط بهما، لكنها لم تعثر على مصدر الصوت. بعد رحيل الطوافة أصبحت فجأة مدركة للضجة التي تحيط بهما. إنها أصوات قادمة من الغابة: عواء، صراخ، سقسقة وتغريد... وكأن الغابة كلها تضج بالحياة.

قال رافايل: «يبدو أن أحدهم قُتل في مكان ما من الغابة».

لمع الضحك في عينيها، ووجهت إليه نظرة ثابتة، راغبة في بناء نوع

من التواصل العاطفي معه، لكنها اصطدمت بجدار صلب. لم يكن هناك أي تواصل أو حتى ابتسامة. بدا من المستحيل عليها أن تعلم ما الذي يفكر به، لأن وجهه لا يظهر أياً من أفكاره. قال بصوت مليء بالانتقاد: «هل أنت خائفة من الأدغال آنسة تاكر، أم أن هناك شيئاً آخر يجعلك متوترة؟».

شيء آخر؟ كحقيقة أن حياتها كلها على المحك، وأنها ستنهار وتتحول إلى رماد... ربما! أو لأنها وحيدة في الغابات الاستوائية مع رجل يبدو عليه بوضوح أنه يكره الجنس البشري... هناك أشياء كثيرة تجعلها تشعر بالتوتر، وهي لا تعرف من أين تبدأ بقائمتها، لكنه ليس بالرجل الذي يوحي بالثقة لتخبره بشأنها. دفعت غرايس الأفكار المتعلقة بالحيوانات المفترسة والأفاعي والألفي نوع من الحشرات بعيداً، وقالت: «أنا لست متوترة».

- أحقاً؟

راقبها رافايل للحظات قبل أن يقول: «إذاً، دعيني أعطيك بعض الملاحظات عن كيفية العمل معي: لا تضيعي وقتي، ولا تكذبي عليّ، والأهم في ذلك كله لا تخدعيني! هذه هي الأمور الثلاثة التي تثير غضبي، وأنا لا أقول نعم لأي شيء مطلقاً عندما أغضب».

ما الذي تجده النساء فيه؟

- لن أكذب عليك، فأنا لا أكذب مطلقاً.

لكنها ليست صادقة معه أيضاً. أليس كذلك؟ إنها لم تبح له بكل شيء عن نفسها عندما أخذت منه القرض. الضيق والاحساس بالذنب سيطرا عليها، فذكرت نفسها بسرعة أن ما من بند في العقد ينص على أن تخبره كل شيء عن نفسها، كما أنه ما من صلة ما بين تاريخها الشخصي وبين قدرتها على إدارة شركتها. في نهاية الأمر، شعرت بوجهها يتورد من الإحساس بالخداع، عندما رأته يبتسم. مجرد ابتسامة خاطفة غير

WWW.FAMOUSATREWIVE.COM

لطيفة، إشارة واضحة منه على أنه رأى إحراجها، وسجله كنقطة ضعيفة ضدها.

- أنت امرأة، آنسة تاكر. ما يعني أن جيناتك الوراثية تحمل الكذب والخداع، ولا يمكنك تغيير ذلك. أكثر ما يمكننا أن نأمله هو أن تسعي لمقاومة آلاف السنين من التأصل في الخداع عندما تكونين بصحبتي.

فتح رافايل الباب، وتنحى جانباً لكي تتمكن من المرور من أمامه والدخول. للحظة، وقفت غرايس تحدق به. قالت بنبرة متوترة: «لا تسخر مني، سيد كورديرو! عملي ليس في حالة جيدة، وأعلم أن علينا بحث العديد من الأمور، لكن لا تحاول إخافتي!».

- وهل أخيفك؟

- أعتقد أن بإمكانك على الأقل المحاولة بأن تكون أكثر وداً وصداقة.

قال بنبرة مليئة بالسخرية: «صداقة؟! هل تريدين أن نصبح أصدقاء؟».

أجبرت غرايس نفسها على النظر إلى عينيه قبل أن تقول: «أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا يجب أن يكون لقاء العمل بارداً وغير متأثر بالشعور الشخصي».

تقدم رافايل نحوها، فتراجعت خطوة إلى الوراء. قال: «أتريدين علاقة شخصية معي، آنسة تاكر؟».

وحدق بعينيها، فشعرت بالحرارة والرطوبة تغمرانها بشكل لا يمكن تحمله. اقترب أكثر وهو يتابع: «إلى أي درجة ترغبين بذلك؟».

وجدت أن من الصعب عليها أن تتنفس بارتياح. لم يلمسها الرجل، مع ذلك شعرت بإحساس طاغ بوجوده قربها، وكأنها كانت نائمة طوال الثلاث والعشرين سنة من عمرها، والآن استيقظت فجأة، وتنبهت للحياة من حولها.

- أحاول فقط أن أقول إنني أشعر دائماً بأن العمل يمكن أن يكون ممتعاً بقدر ما هو عمل جاد وقاسٍ.

- هل هذا صحيح؟

حدق بها كأنه يتأملها جيداً قبل أن يقول: «حسناً! وجهة نظرك هذه تشرح الكثير عن وضعك المالي في الشركة».

ابتعد عنها، لكنها احتاجت إلى عدة لحظات لتستأنف التنفس بشكل عادي، ويهدأ قلبها المضطرب. أرادت أن تجيبه على تعليقه القاسي عن شركتها، لكنه لم يعطها الفرصة لذلك. بدلاً من ذلك سار عبر الباب المفتوح، تاركاً إياها وراءه لتتبعه.

لا عجب أن زوجته تخلت عنه! فكرت غرايس بذلك بيأس وهي تتبعه، بحذر أغلقت الباب بينها وبين الأدغال... أم أنه متفاخر وساخر لأن زوجته تخلت عنه؟

فكرت جيداً بسؤالها هذا. ما جعل بعض الوقت يمر قبل أن تلاحظ ما يحيط بها، لكن ما إن نظرت حولها أخيراً، حتى أدركت وهي تشعر بالتعجب أنهما لم يتركا الغابات الاستوائية في الخارج مطلقاً، فهي جزء من المسكن. تبعته عبر بهو تعلوه قبة زجاجية ضخمة. تلفتت إلى اليسار وإلى اليمين، وحدقت بالنبتات النادرة التي حولت منزله الرائع إلى مكان يستحق المشاهدة. من خلال الزجاج ظهرت الغابة الاستوائية قريبة جداً، وكأن المشهد في الخارج والداخل يمتزجان في انسجام رائع ومثالي. في وقت آخر ربما شعرت بالذهول لرؤية هذا المشهد الطبيعي الأخاذ، لكن من الواضح أن رافايل كورديرو لا يهتم مطلقاً برأيها في اختياره لمنزله. قادها نحو غرفة أخرى، وأشار بيده نحو طاولة كبيرة مستديرة تحمل جهاز كومبيوتر مع عدد من الأجهزة الأخرى. سمعت رنين هاتفين معاً، لكنهما توقفا فجأة عن الرنين، وكأن هناك من أجاب عليهما. قال: «اجلسي!».

WWW.HIMASATBEWAYA.COM

فكرت غرايس وهي ترى الهاتفين، من الواضح أن التكنولوجيا هنا مؤمنة، وهو ليس في عزلة كما يبدو عليه! رمت بنفسها فوق أقرب كرسي، ونظرت حولها بقلق عبر ألواح الزجاج الضخمة، حيث النباتات الوارفة تضغط على الزجاج، وكأنها ستصل إليهما.

قالت وهي تشعر بالذهول مما يحيط بها: «هذا رائع! يبدو كأنك تجلس في منزل مبني من أغصان الأشجار والنباتات في وسط الغابة».

توقف نظرها على غصن شجرة رأته يتحرك. سألته: «هل تقترب الحيوانات من المنزل؟ وهل تعلم أنك هنا؟».

تحدث رافايل كورديرو بنبرة خافتة هامسة، بالكاد تُسمع: «الحيوانات المفترسة تشعر دائماً بضحيتها، آنسة تاكر».

تراجع إلى الوراء ليجلس على مقعده، ثم رفع حاجبه متوقعاً ردة فعلها وهو يتابع: «وافقت على إعطائك عشر دقائق. وبدأت أعد الدقائق منذ الآن».

لم تكن غرايس مستعدة لمثل هذا اللقاء الخالي من أي تعاطف. شهقت وهي تسأله:

- هل أنت جديّ؟ هل قصدت حقاً أنني لا أستطيع أن أتحدث معك لأكثر من عشر دقائق؟.

- إنني رجل كثير المشاغل. وأنا لم أقل يوماً كلاماً لا أعنيه.

من الواضح أنه لن يسهل الأمر عليها. شعرت بالضيق لعدم اهتمامه بمشكلتها الرهيبة. احتاجت للحظة لتجمع أفكارها. أخيراً قالت: «حسناً! أنت تعلم لما أنا هنا. منذ خمس سنوات أقدمت شركتك على إقراضي مبلغاً من المال لأبدأ بعملي، والآن أنت تريد أن تنهي ذلك العقد، وتطلب مني تسديد القرض».

قال ينصحها بنبرة ناعمة كالحرير: «لا تضيعي الوقت بالتحدث عن الوقائع المعروفة التي لا فائدة منها».

حدق بساعة الحائط أمامه، وتابع: «ما زالت لديك تسع دقائق فقط».

شعرت غرايس بالرعب. إنه حقاً غير متعاطف، وهي تضيع وقتها.

- هذا العمل هام جداً لي. إنه كل شيء في حياتي.

أحست بالندم بسبب ذلك الاعتراف المتهور. لماذا سيشعر بأي اهتمام إن كان لديها عمل أم لا؟ بدا عليه أنه يسأل نفسه هذا السؤال، لأنه قطب حاجبيه بانزعاج. قال: «إنني أهتم للوقائع والأرقام. ما زالت أمامك ثماني دقائق فقط».

تورد وجهها، وأجبرت نفسها على المضي قدماً. قالت لنفسها: لا تدعي عاطفتك تجرفك، غرايس. تابعي!

- كما تعلم، بدأت بالعمل في عدة متاجر للقهوة من خلال استثمارك، لكنها لم تكن مجرد أماكن لبيع القهوة.

وضعت يديها في حضنها كي لا يرى أنهما ترتجفان، وتابعت: «نحن لا نبيع فنجان القهوة فقط، بل نبيع الخبرة البرازيلية».

- ماذا تعنين بالتحديد بالخبرة البرازيلية، آنسة تاكر؟

قال ذلك بتمهل كأنه يسخر منها، فعضت غرايس على شفتيها رافضة أن تسمح له بإزعاجها. ذكرت نفسها أنها المسؤولة عن هذا العمل وكأنه طفلها، وهي تملك كل الأجوبة التي يحتاجها. قالت: «يأتي الناس إلى المقاهي لتناول أكثر من مجرد فنجان قهوة. خلال الوقت الذي يمضونه في شرب القهوة أو تناول الغداء، هم ينتقلون إلى البرازيل. من خلال قرضك الأساسي أصبح لدينا عشرون مقهى عبر لندن، ونحن راغبون في فتح المزيد. لكن إن أوقفت دعمك...».

توقفت عن الكلام، ونهضت واقفة على قدميها. إنها بحاجة إلى الحركة. لا يمكنها أن تجلس، وتنظر إلى وجهه الوسيم عبر الطاولة. هو يقطع عليها تركيزها.

WWW.HMASATRE WANIA.COM JEWELRY

– هل تمانع إن مشيت في الغرفة؟ أنا لست معتادة على التحدث عبر المكتب وأنا جالسة. إن كان لدي وقت قصير فقط فعلي أن أكون مرتاحة، وإلا فلن أتمكن من النجاح في ما أقوم به.

جالت نظرته الساخرة عليها، واستقرت على حذائها، ثم قال: «بصراحة، أنا متعجب من قدرتك على الوقوف والتجول هنا. أرى أنك لم تفكري بانتعال حذاء مناسب لزيارة الغابات الاستوائية».

حاولت أن تبقي أفكارها منشغلة بعملها، رافضة أن تسمح لسخريته أن تزعجها. قالت تدافع عن نفسها: «هذا اجتماع عمل سيد كورديرو! لهذا السبب اخترت هذه الثياب. لم أعتقد أنك ستأخذني على محمل الجد إن كنت أرتدي سروالاً عادياً».

منعتها كبرياؤها من الاعتراف أنها اشترت البذلة والحذاء خصيصاً لهذا الاجتماع. شعرت فجأة أنها غبية لأنها فكرت أن ما ترتديه سيشكل فرقاً لرجل مثله. من الواضح أنه كان عليها أن توفر مالها.

أخذ رافايل يراقبها عن كثب، ثم قال بحزم وبصوت ناعم كالحرير: «أتقولين إنك اعتقدت أن بعض الثياب الأنيقة والحذاء ذا الكعب العالي قد تجعلني أبدل رأيي بشأن سحب القرض؟ لابد أنك أسأت الفهم آنسة تاكر، فأنا أفصل بين أعمالي ونسائي».

حدق بها ملياً... نظرت غرايس إليه غير قادرة على التحدث أو الحركة، فقد شعرت بخطورة نظرته. شعرت كأنها تحولت إلى كتلة من الإحساس، وسيطر عليها دفء غريب وغير مألوف لديها.

نساؤه..!

امتلأت مخيلتها بصورة رافايل كورديرو مستلقياً على أغطية بيضاء حريرية، برفقة امرأة سعيدة بقربه... شعرت بالصدمة والقلق من تلك الرؤيا، فنظرت إلى البعيد للحظة مركزة على النباتات الخضراء في الأدغال، بدلاً من النظر إلى عينيه اللتين تلمعان كالماس.

– آنسة تاكر؟!

نبرة صوته الحادة جعلتها تدير رأسها وتنظر إليه بيأس. ما هي مشكلتها؟ هي ليست من نوع النساء اللواتي يتوددن إلى الرجال ويتقربن منهم... لاسيما رجال مثله. هو لن يبادر بالتفاوض أو بالتنازل، وبإمكانها أن ترى ذلك. لا أثر للرقة أو اللطف فيه ولا حتى أي أثر للحنان أو للإنسانية. بدأ الإحساس المألوف بموجات الرعب يلفها، فضغطت بأظافرها على راحة يدها، وأشاحت بنظرها بعيداً عنه محدقة بالأشجار للحظة، وهي تحاول استعادة تماسكها. قالت لنفسها بيأس، يمكنك أن تفعلي ذلك، غرايس! أنت لست بحاجة إليه ليخفف الأمر عنك. منذ متى أنت بحاجة إلى من يسهل عليك الأمور؟ حياتها كلها هي عبارة عن صراع دائم لتحقق ذاتها، وهي لم تتوقع أن يكون هذا اللقاء مختلفاً. استعملت ثلاثين ثانية من وقتها الغالي لتهدأ نفسها، ثم قالت بهدوء، مقاومة التوتر المفاجئ الذي ملأ الغرفة: «انتعلت هذا الحذاء لأنه مناسب لبذلتي، كما أنك تدين لي بدقيقة أخرى من وقتك».

تراجع رافايل إلى الوراء على كرسيه، وضاقت نظرته وهو يقول: «أحقاً؟».

– أجل، فهذا هو الوقت الذي أضعته وأنت تتحدث عن ثياب النساء.

ساد صمت ثقيل، ثم مال برأسه وعلق: «حسناً! ما زالت لديك ثماني دقائق».

بدأت غرايس بالتنفس بهدوء من جديد.

– جيد، الأمر الوحيد الذي أريده منك هو أن تمنحني فرصة لأعرض عليك الوقائع. أتيت إلى هنا لأنني أريد أن أغير ما تفكر به.

تمنت بيأس لو أنه يتوقف عن النظر إليها، لأن نظرته لا تلين، وهي تجعل من المستحيل عليها أن تركز، فالاتصال بينهما مشحون بطاقة

WWW.RAMSATREWAYA.COM

كبيرة. أتراه يشعر بوطأة الاجتماع أيضاً؟

- لقد أخبرتك من قبل أنني لا أبدل رأيي.

- لكنك أخبرتني أيضاً أنك تريد وقائع، وأنت لم تحصل عليها بعد.

شعرت بقلبها يدق بعنف لدرجة أنها متأكدة أنه قادر على سماعه. تابعت: «وعدتني بعشر دقائق سيد كورديرو، ولم تنتهِ تلك الدقائق بعد».

ها هي تدمر كل شيء. إنها تعلم ذلك. كل ما تقوم به هو تظاهر بالثقة، لكن ركبتيها ترتجفان، ويديها تهتزان، كما أنها تقول الأشياء بطريقة خاطئة، تاركة نظرة واحدة من تلك العينين السوداوين تحولها إلى حطام. من الواضح أنه يدرك تأثيره عليها، لأنه يبتسم ابتسامة ماكرة.

- هل أنت قلقة، آنسة تاكر؟

- بالطبع! ففي ظل هذه الظروف، هذا أمر طبيعي. أليس كذلك؟

مدّت يديها أمامها، كأنها ترجوه أن يتفهم، أو أن يقوم ببعض التنازلات على الأقل. قال رافايل بنبرة قاسية: «بالطبع! لو كنت مكانكِ لاستخدمت كل حيلة ممكنة لإنقاذ نفسي، حتى ارتداء مثل هذه الثياب إضافة إلى هذه الابتسامة البريئة والشعر المشع. هيا، ابدأي!».

- أنا لا أفهم ماذا تقصد بكلامك.

هل أدرك كم هي منزعجة بما ترتديه؟ وهل علم أنها تحاول التأثير عليه؟

- أقول إن مشروعك في ورطة حقيقية آنسة تاكر، وأنا الشخص الوحيد القادر على إنقاذه، لذا لا ألومك لأنك تستعملين كل حيلة تقدرين عليها لتتمكني من العوم مجدداً. لكن يجب أن أحذرك أن هذا لن يشكل أي فرق لدي، فأنا لن أقدم على تمديد القرض، مادمت أعتقد أنك تستحقين كل ما يحدث معك.

نسيت غرايس قرارها بألاّ تتأثر بما يقوله، فأجابت على الفور: «كيف يمكنك أن تقول هذا؟ كيف يمكنك أن تكون عديم الاهتمام هكذا؟ الأمر لا يتعلق بي وحدي. إن انهارت مقاهي برازيل، عدد كبير من الناس سيخسرون أعمالهم».

- وأنت مهتمة جداً بحياة الناس ومستقبلهم، أليس كذلك؟

شيء ما في نبرة صوته جعل قلقها يتضاعف. لماذا تشعر كأن هناك حديثين مختلفين يجريان هنا؟ حديث يجري فوق الطاولة والآخر تحتها.

- أجل، بالطبع! أعتقد أن كون المرء مدير أعمال يحمله مسؤولية كبرى. لا يمكنك أن توظف أشخاصاً، ثم تفصلهم من العمل كما تشاء وساعة تشاء. توخيت الحذر باستخدام العدد الكافي من الموظفين ليتمكنوا من تأمين رزقهم في هذا العمل.

رفع رافايل حاجبه، وعلّق: «أمر جديد بالثناء! إذاً، ما الذي حدث آنسة تاكر؟ إن كنت حذرة جداً مما تقولين، فلماذا أنتِ هنا؟ لماذا لم يتمكن مشروعك من تأمين المال اللازم الذي تحتاجينه؟».

قالت غرايس بصدق: «تنظيم العمل تطلب مالاً أكثر مما توقعنا».

قطبت جبينها ما إن لمحت نظرة السخرية في عينيه. تابعت: «افتتحنا عشر مقاهٍ جديدة، وبلغت الكلفة أكثر مما توقعنا، لكننا تمكنا من اجتياز تلك المرحلة، ولدي الكثير من الأفكار للمستقبل».

راقبها للحظة، ثم قال بنعومة: «أنتِ شديدة التصميم. أخبريني! إلى أي درجة تشعرين باليأس؟».

حدقت غرايس به، وقد شعرت بجفاف في فمها. ما الذي يقصده بذلك؟ رفضت أن يقلل من شأنها. تنفست بعمق، ثم ابتسمت، وقالت له: «أنا أهتم كثيراً، سيد كورديرو. إن كان هذا ما تعنيه. كما أنه ما زالت أمامي خمس دقائق لإقناعك».

WWW.HMASATEER.COM

مدّت يدها إلى حقيبة يدها، وأخرجت الأوراق التي وضعتها داخلها بعناية. رافايل كورديرو رجل غير قادر على إظهار أي عاطفة، لذا عليها أن تواجه جزءاً آخر يهمه. إنه رجل يهتم بالأرقام، لذا ستعطيه أرقاماً.

– لن تستمر في تغطية المشروع لأنه حتى الآن لم يعطِ أي أرباح. المقاهي تعمل بشكل جيد، وكما يقولون، فكر لتجني الربح. أليس كذلك؟

– أحقاً؟

تورد وجهها، لكنها أجبرت نفسها على المتابعة وعدم التأثر بنبرة صوته المليئة بالملل وبالنظرة الخطرة في عينيه.

– وصلنا إلى حدود التماس الآن، وقريباً جداً سنبدأ بجني المال.

– هل هذا صحيح؟

الطريقة التي يحدق بها إليها جعلتها تشعر بالتوتر والقلق. قالت: «وما إن نبدأ بجني المال، حتى تبدأ أنت أيضاً بجني الربح معنا».

توقفت عن الكلام ما إن رأت الغضب على وجهه. ما الذي تحتاجه لتجعل هذا الرجل يبتسم؟

تابعت: «سأكون صادقة جداً معك. احتاج الأمر إلى وقت أطول مما اعتقدت، والأرقام ليست كما توقعنا. المقاهي مكتظة بالناس دائماً، وهذا يجعلني لا أفهم لماذا لسنا في وضع مريح».

– أحقاً أنك لا تفهمين؟

قررت أن تكون صادقة معه، فقالت: «من المحتمل أنني اقترفت بعض الأخطاء في البداية. كلفتنا عمليات الشراء والتجديد الكثير من الأموال، أكثر مما اعتقدت. دفعت ثمن تلك الأشياء أكثر من المطلوب، والآن بما أننا نتطور ونتوسع، سيكون من السهل علينا الحصول على اتفاقات أفضل. أعطني فرصة قصيرة بعد، وأنت لن تندم على ذلك».

– أنا نادم على ذلك بالفعل. لا تعجبني طريقتك في إدارة أعمالك، آنسة تاكر.

حدقت به غرايس مصدومة. قالت: «أنت تقصد... أن العمل لا يسير بالسرعة المطلوبة؟ حسناً! أتقبل ما قلته، لكن أعطني مهلة قصيرة بعد. لدي العديد من الأفكار التي أرغب في التحدث عنها معك. أعلم أنني أستطيع أن أجعل مقاهي برازيل مُربحة».

– لكن مِن حساب مَن، آنسة تاكر؟

نبرة صوته الناعمة جعلتها تقطب جبينها. إنه بليونير! التأخر في جني الأرباح المادية لن يشكل له أي مشكلة.

– أدرك أنك أعطيتنا مبلغاً كبيراً من المال، لكننا سنعيد لك المال مع الأرباح ما إن يزدهر العمل حقاً. أنا فعلاً أقدر فرصة دراسة الأرقام معك وإعطائك فكرة كاملة عن خطتنا المستقبلية. عندما تكتمل لديك الصورة عن المشروع، أتمنى أن توافق على تمديد مدة القرض.

– ولماذا عليّ القيام بذلك؟

– لأنك سترى أنه يستحق الدعم.

رفعت حقيبتها، ووضعتها على الطاولة، وهي تتابع: «إن سحبت دعمك المالي ستفلس الشركة، وستنهار بكل بساطة، وإن انهارت الشركة...».

– ستخسرين أسلوب حياتك الذي تحسدين عليه.

قطبت جبينها، وهي تفكر بالأربع عشرة ساعة عمل يومياً منذ أن بدأت مشروعها. أهذا ما قصده؟

– أنا محظوظة جداً لأن لدي عملاً أحبه.

قالت ذلك وهي تبتسم له، لكنها سحبت ابتسامتها على الفور، ما إن رأت البرودة القاسية في عينيه.

مدّ رافايل يده، وقال: «أعطني سجل الحسابات».

WWW.ELKETAB.COM

شعرت بقلبها يكبر في صدرها. في النهاية، هناك أمل ما. لماذا يريد أن يرى الحسابات إن لم يكن يفكر في تمديد القرض؟ فتحت الحقيبة بسرعة وهي تكره حقيقة أن يديها ترتجفان. إنها في وسط المعركة، وهو يحاول السيطرة عليها. شعرت كأنها عادت إلى المدرسة مجدداً، بل عادت إلى غرفة التعذيب، حيث كل شخص هناك يقف منتظراً إياها أن تفشل. أنتِ حمقاء، بليدة الذهن غرايس تاكر! ركزي أيتها الفتاة!

تنفست بعمق وهي تذكر نفسها أنها ليست في المدرسة الآن، وأنها قطعت مسافة طويلة جداً منذ تلك الأيام المرعبة. وهي لن تسمح لنفسها أن تفشل أبداً. مدّت يدها إلى داخل الحقيبة، وأخرجت كومة الأوراق التي حضرها والدها بعناية، وسلمها إياها.

- ما زلت ضمن الدقائق الخمس، آنسة تاكر. استمري في الكلام.

أليس بحاجة للحظة كي يركز؟ ألقى رافايل نظرة خاطفة على الأوراق. شعرت بالحسد من خبرته التي تظهر بوضوح وهو يجول بعينيه فوق الأرقام. نظرت غرايس إلى البعيد، وحاولت أن تنسى أنه هناك وهي تذكر الخطط التي وضعتها للعمل في المستقبل. أخبرته عن الأماكن الجديدة التي وجدتها، وعن الخطط التي ستتبعها لتطور كل مقهى. باحت له بحلمها...

لم تتلقَ منه أي ردة فعل. أمسك رافايل قلماً، وكتب بعض الملاحظات، ثم قلب الصفحات. أخيراً رفع نظره إليها، وقال: «أنا معجب بك، آنسة تاكر».

من بين رماد الخيبة شعرت غرايس بتوهج الأمل. سألته: «أحقاً؟».

- أجل، أنا دائماً معجب بالأشخاص الذين يتمتعون بالشجاعة.

مرّر أصابعه على الأوراق أمامه، فرأت بوضوح مدى قوة يديه.

- في مثل هذه الظروف، توقعت منك أن تكوني مختبئة في الجهة

المقابلة من الكرة الأرضية.

ضغطت غرايس على ركبتيها المرتجفتين، وسألته: «مختبئة؟».

- أنا لست رجلاً لطيفاً عندما يقوم أحدهم بمواجهتي أو معارضتي.

شعرت بإحساس غامض... هناك شيء ما لا تفهمه. قالت بهدوء: «إذاً لن أعارضك، لكن الحسابات تثبت لك أن لدينا قدرة كبيرة».

ماتت الابتسامة الودودة على وجهها بسبب نظرته الباردة.

- هذه الحسابات تثبت لي أنك كثيرة العمل.

- فعلاً.

- لكنك لا تجنين أي أرباح.

قطبت جبينها وقالت: «ليس بعد».

- أنت كثيرة العمل، ومع ذلك لا تحققين أي أرباح.

حدقت غرايس به، وأجابت: «أعتقد أن هذه هي طبيعة العمل. إنه يحتاج أحياناً إلى فترة أطول مما تعتقد ليتمكن من النجاح. إن نظرت إلى الأرقام سترى أننا سنحقق الكثير من الأرباح قريباً جداً».

- إنني معتاد جداً على قراءة الأرقام، آنسة تاكر. لكن لدي سؤال واحد فقط أريد أن أسألك إياه.

جلست غرايس مستقيمة الظهر على كرسيها، وهي تشعر بموجة من الارتياح تطفو عليها. قالت: «من فضلك، اطرح سؤالك».

ابتسمت له ابتسامة مشرقة، فراقبها رافايل للحظة، وهو يركز نظراته على وجهها.

- أخبريني، آنسة تاكر. كيف تتمكنين من النوم ليلاً؟

WWW.HANISATEMAN.COM

٢ - مخادعة!

انسكبت أشعة الشمس من خلال النوافذ. وقف رافايل كورديرو، وراح ينظر إلى غرايس. بدا كأن اللون يختفي من وجنتيها. قال لنفسه: انتهت لعبتك أيتها الجميلة!

تساءل كيف يمكن لفتاة مثل غرايس تاكر أن تكون بهذه السذاجة، لتظن أنه لن يكتشف ما يجري في شركتها. الأرقام في سجلاتها واضحة جداً، لكن شخصاً عادياً لا خبرة لديه في الحسابات مثله، لن يتمكن من اكتشاف ما وجده رافايل في تلك السجلات.

لطالما كان رافايل من الأشخاص الذين لا يؤمنون بالقدرات الفكرية لمن هم حوله. بعد النظرة الأولى التي ألقاها على السجلات، تبين له أن عمل الشركة بطيء، ولا يمكن النهوض بها للوصول إلى مرحلة جني الأرباح. رغبة غرايس الواضحة في أن تكون ودودة ومسهبة في الكلام، هي مجرد خطة قد تنجح مع رجل طبعه أقل تجربة من رافايل مع النساء. أتت غرايس تاكر إلى هنا وهي تشعر بالحماس والانفتاح والرغبة في التعاون. أي رجل آخر غير رافايل ربما كان سيتأثر باعترافها وبخيبة أملها لأن عملها لم يجنِ أية أرباح حتى الآن.

ربما كان أيضاً سيسمح لنفسه بأن يصدق مظهرها البريء.

من حسن حظ رافايل أنه خبير في النساء الجشعات. لو لم تكن هذه حاله، لما ساورته الشكوك، ولما اكتشف أن مقاهي برازيل ليست ناجحة كما يبدو ظاهر الأمر. إن غرايس تاكر بعيدة جداً عن كونها

صاحبة عمل تهتم لأمر موظفيها كما تتظاهر، مع ذلك هي تملك الجرأة لتأتي إلى هنا وتتوسله كي يستمر في ضخ المال في مشروعها الصغير، وهذا دليل آخر على جشعها وفقدانها للضمير. لو أن ظروف هذه القضية عادية، لفوّض رافايل أحد أفراد فريق عمله للتعامل معها وإنهاء تلك المشكلة، لكنه قرر أن يتعامل مع قضية غرايس تاكر بنفسه.

نظر إلى أظافرها المقلمة والمطلية وإلى شعرها المشع، فشعر بالغضب يتنامى في أعماقه. تساءل، أتراها تعرف معنى كلمتي الحرمان والضيق؟ ألديها أية فكرة عن الشعور بالبرد والجوع؟ هل تعلم ما سيكون شعورها إن حاولت النوم بدون سقف يحمي رأسها الصغير الجميل؟ لا! بالطبع هي لا تعلم. كيف لها أن تعلم؟ يراهن رافايل أن أكبر صراع لها في حياتها هو أن تقرر أي حذاء تنتعله ليتناسب مع ثوبها.

عندما اتصلت به طالبة موعداً للقاء معه، جاءت ردة فعله الأساسية الرفض. لماذا عليه أن يضيع وقته معها؟ لكنه بعد قليل قرر أن يعاملها بطريقة مختلفة، لأنه أراد أن يعاقبها.

عملت غرايس تاكر على تمزيق حياة الناس الذين عملوا معها، وهي تخطط الآن لتمزيق حياة آخرين، لكنه لن يسمح لها بالاستمرار في ذلك. عليها أن تواجه نتيجة أعمالها المشينة. يجب أن تعاني كما يعاني الآخرون بسببها، لكنه لم يقرر بعد كيف سيجعلها تدفع الثمن. بدأ يفكر بالعقاب الذي ستواجهه. هل سيرضى بتمديد فترة القرض لتتمكن من تطوير أعمالها أم سيرفض؟ من خلال رؤيتها أمامه مرتدية بذلة، لاشك أنها كلفت مبلغاً لا يستهان به وكذلك حذاؤها، تفاقم غضبه منها، وعلم أنه اتخذ القرار المناسب بمعاقبتها.

لكن إلى أي مدى سيصل عقابه لها؟ تساءل بكسل وهو ينظر بإعجاب إلى قدميها الصغيرتين ونعومة بشرتها، هل هي مستعدة

WWW.BAMSAREMIR.COM
JEWELRY

للاستمرار في محاولة إقناعه؟ إنه لأمر مؤسف لها ألاّ يسمح مطلقاً لعلاقته بها أن تتداخل مع حياته العملية، لأن الانجذاب بينهما بدا شديداً وقوياً منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها قدماها الممر الخشبي. عندما انحنت لتخرج كعب حذائها من بين شقوق الأرضية الخشبية، لفت نظره جمال رقبتها والقسم الأعلى من جسمها. أما شعرها الحريري فبدا ساحراً، وهو يتدلى إلى الأمام مغطياً وجهها، وكذلك بدت شفتاها اللتان شهقتا بنعومة وهي تحاول ألاّ تفقد توازنها.

للحظة، اختفى ذلك الغضب الذي كان يغلي في أعماقه، وسيطر عليه إحساس قوي بالانجذاب إليها إلى درجة جعلته يشعر بالألم. عندها تنبهت لوجوده، فتمسكت بحقيبتها وكأنها حبل النجاة لها. ردة فعلها تلك كانت أكثر من كافية لتذكره بسبب وجودها هنا: المال!

باستثناء شعرها الأشقر المتوهج، وجمال جسدها وطول ساقيها، غرايس تاكر لا تختلف أبداً عن أية امرأة جشعة! هذا ما فكر به رافايل، ذكريات مرة قاسية راحت تدور في رأسه، لكنه أجبر نفسه على التخلص منها بتصميم لا رحمة فيه، مقرراً أن يدفع غضبه وسخطه باتجاه غرايس تاكر. فكر بمرارة: لا عجب أن والدها لم يحضر معها. من الواضح أنهما لم يرغبا في أن يبدد أي شيء صورة الفتاة البريئة بقميصها البيضاء الحريرية، وشعرها الناعم المتدلي ببساطة فوق كتفيها. لو أنها وقفت على هذا النحو أمام القاضي وهيئة المحلفين، لأعلنوا براءتها من جريمة قتل!

وقفت غرايس جامدة في مكانها، وقد علا الارتباك ملامح وجهها وهي تفكر في سؤاله. سألته: «لماذا عليّ أن أعاني من مشاكل في النوم خلال الليل؟».

بقيت ملامح وجهها مبتسمة بالبراءة نفسها، وكلامها بقي عذباً وواضحاً كالثلج. من المحتمل أنها تعلمت في إحدى المدارس

الداخلية للفتيات، كتلك التي تعلم القواعد الأساسية للعيش، ومن ضمنها بالتحديد كيف تتمكن من الاستيلاء على محفظة الرجل. أما الخطة المعتادة فهي أن تتزوج من رجلٍ غني، ثم تُطلقه، وتأخذ منه كل ما يملك. القواعد الثلاث للنساء لجني المال هي: تقربي من الرجل الثري، خذي كل ما يملك من مال، ثم تقاعدي!

تساءل لماذا لم تأخذ غرايس تاكر هذا المنحى. أتراها تعتبره بحاجة إلى الكثير من المجهود؟ شعر رافايل باندفاع لمواجهتها بالمعلومات التي يملكها عنها. حاول جاهداً الضغط على نفسه ليتمكن من إنهاء الاجتماع بأسرع وقت ممكن قبل أن يفقد السيطرة على أعصابه.

قال لنفسه: تلك الخطوة ستسهل الأمور عليها. أليس كذلك؟ ستعترض قليلاً في البداية. من المحتمل أن تحدث ضجة، وتنكر كل شيء حتى تدرك كم يملك من المعلومات عن عملها. عندها ربما ستستخدم دموعها أو ربما ستلجأ إلى مغازلته لتقنعه بألاّ يقاضيها. في كلتا الحالتين ستعود إلى لندن بدون القرض، وهذا سيضع حداً نهائياً لاحتيالها. لكن رافايل لا يريد أن يضع حداً لذلك... يجب عليها أن تعاني. يريدها أن تشعر ببعض القلق والحيرة اللذين تسببهما للآخرين. هي الآن قلقة. بإمكانه أن يرى ذلك بوضوح كلما نظر في عينيها، وبالرغم من كل التظاهر الذي تبذله، غرايس تاكر متوترة.

اتسعت عينا غرايس وهي تسأله: «لماذا تعتقد أنني لا أستطيع النوم في الليل؟ أتقصد لأنني قلقة على إيجاد طريقة تمكننا من دفع ديوننا إن أنت أوقفت قرضك؟».

لا، لم يقصد ذلك، لكنه قرر أن يجاريها في ما تقوله.

- وهل أنتِ قلقة؟

- بالطبع!

ابتسمت له ابتسامةً خجولةً، غابت على الفور بسبب نظرته الغاضبة.

- هناك أشخاص كثيرون يعتمدون عليّ، لكن عليّ إبعاد هذه الأفكار عن رأسي في الوقت الحاضر، وإلا سأصاب بالجنون. أليس كذلك؟

أسند رافايل ظهره إلى كرسيه، وتراجع إلى الوراء وهو يراقبها بدقة، باحثاً عن أي أثر للندم أو نقطة ضعف في شخصيتها يستطيع النفاذ منها. لم يجد أية ثغرة تساعده على ذلك، بل مجرد ومضة من القلق دلت على أنه الوحيد غير المنطقي هنا. قال: «إذاً، أنتِ لا تفكرين بالآخرين أو تقلقين بشأنهم؟».

قطبت جبينها قليلاً، وأجابت: «حسناً! من الصعب ألاّ تفعل، لا سيما عندما تكون مسؤولاً عن دخلهم، لكن من المهم ألاّ تترك العواطف تؤثر على ما يجب القيام به، وإلا سيعاني الجميع».

ذكريات كريهة ومميتة انزلقت إلى مخيلة رافايل، وهذه المرة لم يكن هناك من مجال لإبعادها... فجأة أصبح في الثامنة من عمره من جديد... طفل بمفرده في سن الثامنة ويكاد يموت جوعاً. طفل خائف، ضائع في الظلام، ومحاط بكل الأصوات الغريبة والمخيفة. شعر بالعرق البارد يتصبب من جسده، فنهض على الفور وسار نحو النافذة، محاولاً أن يخلص نفسه من الآثار المظلمة لماضيه. وقف جامداً للحظة محاولاً السيطرة على تسارع أنفاسه، ثم أدار رأسه لمواجهتها.

- إذاً! أتقولين إنك عديمة الرحمة؟

ابتسمت غرايس قليلاً، وقالت: «لا! أنا لست كذلك. لا أعتقد أن على المرء أن يكون عديم الرحمة كي ينجح في عالم الأعمال».

أبقى رافايل على نبرة صوته طبيعية وهو يسألها مجدداً: «ماذا عن الخداع والسيطرة على الناس؟ هل تعتبرين هذه الصفات ضرورية لتقدم العمل؟».

حدقت به قائلة: «لا أفهم إلى أين تريد الوصول في هذا النقاش».

- أحقاً؟

إنها بالطبع تتساءل... فجأة قرر أن ينتقل معها من مبادرة الكلام إلى الأعمال. إنه يرغب في أن يجعلها ترى نتائج أعمالهابأم العين، وأثناء ذلك سيتأكد من جعلها تعاني كثيراً. استقرت عيناه على بذلتها الأنيقة، وعلى حذائها ذي الكعب العالي والرفيع، وازداد حقده عليها.

في الواقع، هو يعلم أن لا مجال مطلقاً للمزج بين الثياب الأنيقة والأدغال.

قال:

- هل أحضرت معك حقيبة ثيابك، آنسة تاكر؟.

- حقيبة ثيابي... لأي هدف؟

- أريدك أن تمكثي هنا لأيام قليلة، كضيفةٍ لي.

أبعد عن مخيلته الصورة المزعجة التي اقتحمتها وهي صورة لغرايس المستلقية على السرير في غرفة الضيوف، واستبدلها بصورة لها وهي تسير عبر ممر الغابة متعلة حذاء يصلح للتسوق في المدينة.

- أتيت إلى هنا قاطعة مسافات بعيدة، وهناك بعض الأشياء التي تستحق أن تريها، ما دمتِ هنا.

تضاعف القلق في عيني غرايس وهي تقول: «منذ لحظة فقط كنت قلت لي إن لدي عشر دقائق فقط لإتمام لقائي بك، والآن أنت تدعوني فجأة للبقاء لعدة أيام. لماذا؟».

لأنه يريد أن يقود توترها إلى أماكن لا تحلم بها من خلال السير في مناطق خطرة ووعرة. عندها سيجعلها تشعر بالأسف والندم الحقيقيين لأنها فكرت في القدوم إلى هنا. قال متعمداً إخفاء السخرية في نبرة صوته: «أنا أتعجب دائماً ممن يملكون العزم والتصميم آنسة تاكر، وأنتِ واحدة منهم. لذا تمكنت من الحصول على وقت إضافي».

WWW.HAMSATEWAFI.COM

لمع الأمل في عينيها، وسألته: «أأنتَ مستعد لإعطائي المزيد من الوقت؟».

- هذا إن واقفت على أن أريكِ سحر الغابات الاستوائية.

يبدو أن نبرته الحريرية منعت أجراس الإنذار من الرنين في رأسها، لأنها ابتسمت له ابتسامة مليئة بالثقة والأمل. ضغطت على يديها في حضنها، وعلقت: «شكراً جزيلاً لك! لن تندم على ذلك. يمكننا التحدث مطولاً خلال الرحلة إن شئت».

نتحدث؟! إن كلمة «التحدث» ليست موجودة فعلياً في قاموسه. رماها رافايل بنظرة مشككة، ثم أدرك أنها فعلاً لا تملك أية فكرة عما ينتظرها. في الوقت الذي سينتهي منها، ستكون راغبةً في الصراخ لا في التحدث.

- أتطلع لأريك بعض المناظر الرائعة الجمال والنادرة في بلدي. وسأستغل الفرصة لأرافقكِ إلى أماكن أعتقد أنها ستثير اهتمامكِ.

فكر بتثاقل أن أحد هذه الأماكن قد تكون غرفة نومه، وهو يراقب تورد خديها. صحيح أنه يفضل أن يبقي حياته العملية بعيداً عن مغامرته، لكن لا يمكن اعتبار غرايس تاكر شريكة في العمل، لأنه سيعمل شخصياً على إنهاء عملها وإقفال شركتها. هذا يعني أنه يستطيع أن يحول اهتمامه بها إلى الناحية الشخصية.

- لم أُخطط للذهاب لرؤية أي مكان هنا.

- أتكلم عن زيارتك للفازيندا، مزرعة القهوة التي تؤمن كل حاجاتك من البن. من الأنسب لكِ أن تتعرفي أكثر على المستحضر الذي تبيعينه.

راقبها رافايل باهتمام، لكنها ابتسمت ببساطة، فظهرت غمازتيها اللتين جعلتاها تبدو كمراهقة.

- أحب كثيراً زيارة أماكن زراعة البن. أصرّ والدي على القيام بهذا

الأمر عندما بدأنا العمل. يا لها من فكرة رائعة!

تجاهل رفايل جمال غمازتيها والاحساس القوي بانجذابه إليها، وأراد أن يضحك فجأة. لا يمكن لأحد أن يشك بفرحها الواضح الصريح. لا بد أنها الآن تتساءل عن مدى المعلومات التي يعرفها عنها، ومع ذلك ليس هناك أي أثر للندم في عينيها، أو أي قلق من عرضه أن يأخذها إلى أعماق الأدغال. كل ما فعلته غرايس هو أنها وقفت مرتدية بذلة من تصميم أرماني، وتنقلت على حذائها ذي الكعب العالي. من الواضح أن لا فكرة لديها كم هي بحاجة إلى الطاقة لتتمكن من السير عبر الأدغال في هذا الطقس الحار الرطب.

قال لنفسه برضى وثقة: خمس دقائق... خمس دقائق فقط هو كل ما تحتاجه لتبدأ بالصراخ خوفاً من الأفاعي والحشرات، ولتلتصق به، ولا تتركه أبداً. من دون هذه الثياب الأنيقة وأحمر الشفاه ستبدو ضائعة وخائفة، وسيتحول اهتمامها نحوه. عندئذٍ سيوجه لها ضربته الأخيرة للقضاء عليها. من المؤكد أنها ستكون الضربة القاضية. نهض على قدميه، وقال: «إذاً، سأدبر الأمر ليوم غد. في الوقت الراهن، إحدى الموظفات في فريق عملي ستوصلك إلى غرفة، حيث يمكنك أن تبدلي ثيابك بأخرى مريحة أكثر».

- ألديك فريق عمل هنا؟

رفع رافايل حاجبه بسخرية، وأجاب: «بالطبع، لدي فريق عمل! هل اعتقدتِ أن هذا المكان يسكنه شخص واحد؟ أم ظننت أنني أتأرجح بمفردي على الأشجار في ثياب تستر العورة فقط، فيما أتغذى على الأناناس؟».

- لا ينمو الأناناس في الغابات الاستوائية الأطلنطية.

إنها تملك بعض المعلومات إذاً! هذا يعني أنها تعرف أكثر من المرأة التي أحضرها إلى هنا سابقاً، والتي كانت تشغل وقتها بطلاء

أظافرها خلال ساعات الجغرافيا.

- أحتفظ بفريق عمل في كل منزل من منازلي، وهذا يجعل عملي أكثر جودة وكفاءة.

أردف قائلاً: «تم نقل حقيبتك إلى الطابق العلوي. سأراكِ أثناء العشاء. ستحضر لكِ ماريا مدبرة المنزل بعض المقبلات والأطعمة المحلية».

انتظر ليراها ترتجف خوفاً مما ستأكله، لكنها بالكاد ابتسمت وهي تقول: «هذا رائع! شكراً لكَ. أنتَ لطيفٌ جداً».

لطيفٌ؟! خلال السنوات الماضية، نادته النساء اللواتي عرفهن بأسماء مختلفة، لكن أياً منهن لم تقل إنه لطيف. نظر رافايل إلى وجهها باحثاً عن تعبير ساخر، لكنه لم يرَ غير ابتسامة صريحة وصادقة. تلك الابتسامة أثارت غضبه. إن كانت قلقة، فهي بالطبع تعمل على عدم إظهار ذلك. فجأة أصبح أكثر تصميماً على زعزعة تماسكها. في الوقت الذي سينتهي منها، لن تبتسم أبداً. ستكون رطبة ومتعبة، وستكون قدماها متورمتين، وبشرتها مليئة بلسعات الحشرات، وستفكر كثيراً قبل أن تختلس أموال أي كان بعد ذلك. لكن إن لعبت أوراقها بطريقة صحيحة، فهو مستعد لتقديم بعض العزاء والدعم لها. بعد خروجها من مكتبه شعر رافايل بالرضى، لأنه يملك سيطرة كاملة على الوضع، وقرر الرد على الاتصالات الهاتفية التي تنتظره.

شعرت غرايس بارتجاف في أعماقها بعد ذلك اللقاء، لكنها تبعت ماريا مدبرة المنزل. لم تدرك أن عليها صعود درج خشبي لتصل إلى غرفة نومها. لم تعلم في الواقع إن كان عليها أن تشعر بالارتياح أم بالقلق، لأن المدة القصوى المحددة لها والتي لم تكن تزيد عن العشر دقائق، امتدت إلى أيام قليلة برفقة رافايل كورديرو. توقعت غرايس أن يكون رافايل قاسياً بلا رحمة خلال الأيام القليلة التي ستمضيها برفقته.

لكنها في الواقع لم تتوقع أن يكون بارداً جداً ومروعاً.

فكرت أن الذنب على الأرجح هو ذنبها، فلا شك أن حسابات شركتها غير مقنعة، ورافايل ليس بالرجل الذي يسمح لنفسه بالتعامل مع أشخاص بسطاء عديمي الخبرة. هو ليس بالرجل الذي يسمح بحدوث أي شيء لا يريده. رفعت غرايس رأسها، وتساءلت إلى أين يصل هذا الدرج. رأت على أحد جانبي الممر نوافذ تطل على المناظر الطبيعية للغابة من زوايا وارتفاعات مختلفة، وعلى الجانب الآخر هناك درابزين من الخشب المحفور. إعطاؤها المزيد من الوقت ربما سيساعدها على الأقل على شرح قضيتها! فكرت بذلك وهي تتابع السير صعوداً. ستحظى بفرصة لتخبره عن مشاريعها المقبلة في العمل. مهما كانت مديمة الخبرة، فهي خُلقت من أجل العمل القاسي الذي يتطلب الإرادة الصلبة والتصميم القوي.

تساءلت لماذا بدل رأيه فجأة. توقعت أن يمنحها عشر دقائق فقط لشرح قضيتها، والآن يبدو أنها حصلت على وقت أطول بكثير. أقنعت نفسها أنه يجدر بها أن تكون سعيدةً، وأن تنسى أمر التوتر.

أدركت أنهما وصلتا إلى أعلى الدرج، الذي يقودها مباشرة إلى غرفة كبيرة، تطل على الغابة من جهتين. لاحظت أنها الآن على مستوى أعالي الشجر، فسارت نحو الشرفة الخشبية المحاطة بحاجز يمنع المقيم في هذه الغرفة من السقوط إلى أرض الغابة. شعرت بسحر المكان وجماله، فاستدارت نحو مدبرة المنزل، وهي تبتسم قائلة: «إنه حقاً جميل جداً، وكأنه معلق في الشجرة».

بُني المنزل ليتناغم مع الطبيعة، ويؤمن منظراً دائماً لسحر الغابات الاستوائية وغموضها، بالتمازج مع رفاهية الحياة المنتشرة في المكان. بوسط الغرفة سرير كبير جهته الرأسية هي عبارة عن لوحة مزركشة ملفتة للنظر، أما الأغطية الحريرية فبيضاء اللون، وُضع عليها غطاء من

المخمل وعدد من الوسائد الخضراء اللون التي تتناسب مع اخضرار الأشجار المحيطة بها، وهناك سجادة كبيرة من الصوف تغطي الأرضية الخشبية. راحت نسائم خفيفة منعشة تحرك الستائر الرقيقة المصنوعة من الشاش. قالت المرأة شيئاً ما بلغة افترضت غرايس أنها البرتغالية، فابتسمت لها معتذرة، وهي تشعر بالاحراج.

قالت: «أنا آسفة، لا أجيد التحدث بلغتك، ولا أفهم كلمة واحدة باللغة البرتغالية».

قالت المرأة بلهجة ثقيلة باللغة الإنكليزية: «قلت إن ثيابك أصبحت في الخزانة، وإن إحتجت إلى أي شيء آخر، ما عليك إلاّ أن تسألي فقط».

- شكراً لك!

نظرت غرايس إلى نفسها نظرة استهجان، وتابعت: «سأبدل ثيابي الآن».

شعرت بعدم الارتياح لأن ثيابها بدت ملتصقة بجسدها، ولم تعد قادرة على تحملها. مع أنها لم تحضر الكثير من الثياب معها، فقد حزمت ثياباً تكفيها لتمضية ليلتين في ريو دي جنيرو، وهي الفترة الكافية لتطير إلى المسكن في الغابة، ثم العودة لتلحق بطائرتها المقلعة إلى لندن. لم تفكر للحظة أن رافايل سيدعوها للبقاء كضيفةٍ له في الغابات الاستوائية. شعرت بموجة من التفاؤل تغمرها.

- سيُقدم العشاء بعد ساعتين على الشرفة. إن رغبتِ في السباحة يمكنك أن تفعلي ذلك في بركة الغابة. خذي الممر إلى الجهة اليمنى، ثم سيري لمدة خمس دقائق. عندها تجدين منعطفاً. اذهبي باتجاه اليمين مجدداً.

ابتسمت لها ماريا بخجل، وتابعت: «إذا احتجت إلى أي شيء آخر، من فضلك ناديني».

فكرت أن كل ما تحتاج إليه، هو طاقة إضافية من الشجاعة لتتمكن من مواجهة رافايل كورديرو من جديد.

ابتسمت لها غرايس، وأجابت: «أنا متأكدة من أنني سأكون بخير. شكراً لك».

قررت أن خصوصية غرفة النوم أفضل لها من بركة قد تجد فيها أشخاصاً آخرين، فاختارت أن تتجاهل عرض السباحة المغري في هذا الطقس الحار. شعرت بالامتنان لأنها تمكنت من نزع ثيابها عنها. استجمعت قواها، وغسلت شعرها. لحسن حظها أن مشكلتها بالنسبة لما سترتديه أثناء العشاء حُلت على الفور. بالإضافة إلى ثوب السباحة الأحمر الذي وضعته في الحقيبة لكي تسبح في بركة الفندق الذي ظنت أنها ستمضي ليلتها فيه، وضعت أيضاً ثلاث قطع من الثياب يمكنها أن تختارمن بينها ما سترتديه. البذلة الرسمية التي نزعتها وهي تتنفس الصعداء لشعورها بالارتياح، وسروالاً عادياً للتنقل اليومي ارتدته خلال رحلتها الطويلة من لندن إلى ريو، بالإضافة إلى فستان بسيط من الكتان أحضرته لترتديه أثناء بقاءها في الفندق في ريو. ثلاث قطع من الثياب وثلاثة أحذية. تذكرت تعليقات رافايل عن الحذاء ذي الكعب العالي، فقررت عدم انتعاله. من الواضح أن الحذاء الرياضي الخفيف الذي انتعلته في الطائرة غير مناسب، لذا لم يبقَ أمامها إلا أن تنتعل حذاء القماش الشبيه بحذاء راقصات الباليه. هكذا انتعلت غرايس حذاءها وارتدت فستانها.

شعرت براحة عجيبة بعد ارتدائها لذلك الثوب السميك، وفي الوقت الذي سارت فيه عبر الممر الزجاجي لمسكن الغابة والذي يوصل إلى الشرفة المظللة، شعرت كأنها استعادت ثقتها بنفسها. هدأت، وأخذت الوقت الكافي لتفكر بالموضوع الذي جاءت من أجله. كل شيء سيتم على خير ما يرام! قالت في سرها وهي تشعر بالتفاؤل والإيجابية.

WWW.MASAREWAFIL.COM

ستدعه ببساطة يرى مدى ولعها بهذا العمل. إن أدرك رافايل كم هي مستعدة للعطاء، سيعمل على إبقاء القرض وتمديد فترة استرجاعه!

حافظت على ثقتها بنفسها طوال تلك الفترة، حتى انضمت إليه إلى طاولة العشاء...

بدّل رافايل ثيابه، فارتدى قميصاً سوداء اللون وسروالاً من قماش خفيف. بدا جذاباً وغير مثير للأعصاب، كما كان خلال الاجتماع. ربما يعود الفضل إلى الضوء الخافت الذي جعله يبدو أقل قسوة.

- اجلسي! أتريدين شراباً ما؟

انتظرت غرايس حتى وُضع كوب العصير أمامها، وأصبحا بمفردهما قبل أن تقول: «أنت غاضب جداً مني. أليس كذلك؟».

هي تكره الأجواء المتوترة، لذا قررت المواجهة المباشرة. تابعت قائلة: «أعلم أنني اقترفت العديد من الأخطاء، لكن كل شخص معرض للخطأ عندما يبدأ عملاً جديداً هو غير معتادٍ عليه».

- أحقاً؟ أهذا ما يحدث فعلاً؟

بدا رافايل مرتاحاً وصاحب سيطرةٍ كاملةٍ. لم تظهر ملامح وجهه الوسيم أي أثر للعاطفة. راقبته غرايس وهي تشعر بالأمل يتضاءل في أعماقها. كيف يمكن للمرء أن يتواصل مع شخص مثله، شخص يعيش حياته من خلال الوقائع والأرقام؟ أتراه حقاً فاقداً تماماً للمشاعر؟ تذكرت قصة طلاقه القاسية المؤلمة. لا بد أنه يحمل في داخله جروحاً كثيرة، فعندما تعاكس الحياة شخصاً ما، فإنها تترك لديه جراحاً كثيرة... هي تعلم ذلك. تساءلت، أهذا ما حدث له؟ هل رحيل زوجته المفاجئ جرده من الإحساس، أم أن ذلك حدث قبل وقت طويل من إنهاء زواجه؟

- ألم تخطئ أبداً، سيد كورديرو؟

لوى رافايل شفتيه بابتسامة ساخرة، وفجأة أصبح كل ما فيه قاسياً

وعنيفاً؛ قسمات فكه القاسية بدت عدائية، واللمعان في عينيه أظهر ما يحس به من قسوة في داخله، وكذلك تصلب كتفيه. قال: «أجل».

نظرت إليه غرايس بتمعن وهي تفكر. تلفظ الرجل بكلمة واحدة، مع ذلك يراودها شعور أن جوابه يحمل الكثير من المعاناة. لماذا تشعر بالتعاطف مع هذا الرجل، في حين أن لا شيء متعلقٌ به يشير إلى أنه ضعيف أو أنه سريع التأثر؟ أحست بصراع يتخبط في أعماقه المظلمة... شيء هو يرفض الاستسلام له، لأن هذا الرجل لا يستسلم أبداً على ما يبدو.

اعترفت بتردد: «أعترف أنني كنت حمقاء، ساذجة وعديمة الخبرة. يمكنك أن تنعتني بما تشاء».

نظر إليها مطولاً قبل أن يعلق: «ساذجة وحمقاء وعديمة الخبرة. هل تستعملين هذه الكلمات لوصف ذاتك؟».

- أنا أقول الحقيقة. لو قلت عكس ذلك، لا فرصة أمامي في الاستمرار بالحصول على القرض. أليس كذلك؟

قالت ذلك ببساطة وعيناها منجذبتان نحو ساعديه، ثم تابعت: «لكنها أوصافي الحقيقية، هذا ما كنت عليه عندما أعطيتني القرض في البداية، أي منذ خمس سنوات».

- كم كان عمرك منذ خمس سنوات؟

- كنت حينها في الثامنة عشرة. حصل ذلك مباشرة بعد إنهائي المرحلة الثانوية.

قالت ذلك بمرح، حريصة على عدم إظهار أي علامة من علامات يأسها ويأسها اللذين عاشتهما أيام كانت في المدرسة.

- لماذا لم تدخلي إلى الجامعة؟

لأسباب كثيرة لا تُعد ولا تُحصى...

أخفضت غرايس نظرتها إلى طبقها، محدقةً لأول مرة في الطعام

WWW.HUMASATREWIYAT.COM

أمامها. تساءلت متى وُضع أمامها؟ فهمت في تلك اللحظة وهي تشعر بإحساس غير مريح، أنها عندما تكون برفقته لا يمكنها أن تلاحظ أي شيء من حولها غيره. شعرت بدقات قلبها تتسارع، لأنهما يبحثان في موضوع تكرهه. أجابت: «الجامعة غير مناسبة لي. أردت أن أنشئ عملاً خاصاً بي».

أرادت أن تبرهن جدارتها، وتحقق ذاتها.

تراقصت أصابعه على الكوب في يده، وعلق قائلاً: «أتعنين أنك أردت البدء في جني المال في عمرٍ مبكرٍ؟».

قطبت غرايس جبينها. أرادت أن تخبره أن هذا ليس السبب الحقيقي، فلا مشكلة لديها بشأن المال. حتى الآن، هي لا تتقاضى أي أجر تقريباً، إذ اختارت بدلاً من ذلك أن تستثمر أجرها في العمل. بالنسبة لها لم يكن المال يوماً أمراً هاماً، لكن هذا الاعتراف الصريح لن يوصلها إلى ما تريده مع رجل يكرس حياته من أجل الربح المادي فقط. قالت أخيراً معترفة له بجزء صغير من الحقيقة: «أردت أن يكون لدي شيء ما يخصني».

حدق بها رافايل، بينما راحت ماريا تضع المزيد من أطباق الطعام على الطاولة.

- لكن والدك هو من أسس هذا العمل.

هزت رأسها بالنفي، وقالت: «لا! كان أبي يستورد البن ويبيعه، لكن فكرة إنشاء المقاهي هي فكرتي. عندما تركت المدرسة عملت في مقهى لفترة، واستمتعت بذلك. كان هناك الكثير من الأمور الأخرى التي بإمكاني القيام بها، كالعمل في وكالة للسفر مثلاً، لكن كان لدي أصدقاء في الجامعة في لندن لا يجدون مكاناً مناسباً للاجتماع أثناء النهار، من هنا أتتني الفكرة. قمت ببعض الأبحاث، ووجدت مقهى على شفير الانهيار، فاشتريته بفضل قرضٍ مالي من أحد المصارف.

أمضيت أياماً وليالٍ أعمل فيه بمفردي، لأنني لم أكن أملك ما يكفي من المال لتوظيف من يساعدني».

مدت يدها، وسكبت بعض الطعام في طبقها، ثم تابعت: «كانت الجدران متصدعة، وبحاجة للطلاء، لذا قررت أن أغطيها بصورٍ جداريةٍ كبيرةٍ للغابات الاستوائية. بدا تأثير تلك الصور مذهلاً على الناس. راح كل من يدخل المقهى يسأل: «أين يقع هذا المكان؟»».

بدت الأمور حينها غاية في السهولة. بدأت غرايس عملها من أجل هدفٍ واحدٍ، وهو أن تثير إعجاب والدها وتلفت نظره إلى أنها تستطيع القيام بعمل مفيد.

- البرازيل بلد جميل جداً.

- أجل. تلك الصور دفعتني للتفكير بتجربة كاملة للموضوع الذي أردت تقديمه. المقاهي الموجودة عادةً تركز على الأمهات الشابات مع أطفالهن أو رجال الأعمال الذين يمرون سريعاً من أجل احتساء فنجان من القهوة.

التقطت شوكتها، وقطبت جبينها وهي تتابع: «أردت مكاناً يتمكن الطلاب من الاجتماع فيه مع أصدقائهم، ليستمتعوا بالتحدث وسماع الموسيقى في جوٍ جميل رائع. الجو العام في المقاهي يشع بالنشاط والحيوية، لا سيما مع موسيقى السامبا التي نُسمعها بشكلٍ دائم لزبائننا، ونحن نقدم لهم طعاماً برازيلياً. نحن أيضاً متصلين بشبكة الإنترنت، حيث بإمكان التلاميذ العمل وهم يتناولون القهوة.

- وهل نجح الأمر؟

- بالطبع! راح المقهى يكتظ يومياً بالطلاب، وغدت أرباحنا مذهلة. كانت تجربة مثيرة لا يمكن وصفها.

- جني المال هو دائماً أمر مثير.

استيقظت غرايس من ذكرياتها بسبب نبرة صوته الحادة. نظرت إليه،

WWW.HAMASATRIWAYA.COM

وتساءلت إن كان هناك أمر آخر وراء تعليقه، لكن وجهه الوسيم لم يبح بما يفكر به. أتراها تبالغ في إحساسها؟

- أجل، بالطبع! عندئذٍ قررت أننا نستطيع القيام بالأمر نفسه في أماكن أخرى. لم يقرضني المصرف المزيد من المال لأنني كنت عديمة الخبرة. لم يرغبوا في إعطاء مبلغ كبير من المال لمراهقة، فاتصلت بشركتك. كنت تقدم قروضاً عملية للمبتدئين، تساعد في تنمية الحياة الاقتصادية البرازيلية، ما جعلني أعتقد أنكَ قد تساعدني.

القرض الذي قدمته شركته لها غيّر مسار حياتها كلها! مدّ رافايل يده نحو كوبه قائلاً: «المقهى الأول الذي أنشأته جنى الكثير من الأرباح. أليس كذلك؟».

- أجل!

علق بنبرة مستفهمة: «لكنك الآن لا تكسبين مثل تلك الأرباح. لابد أن هذا الأمر مخيب للآمال».

- صرفنا الكثير من المال على تجديد المقاهي.

راقبته غرايس وهو يشرب، وبدون وعي منها تبعت حركته بعينيها، قبل أن تتابع: «دفعتُ لشركة بناء لتقوم بالأعمال التي قمت بها بنفسي في المقهى الأول، وكلفني ذلك أكثر من الميزانية التي خصصتها لهذا الأمر. تلك غلطة لن أقدم على تكرارها أبداً».

حدق رافايل بوجهها مطولاً قبل أن يعلق: «لا! لن تفعلي ذلك».

التوتر الطاغي بينهما سيطر عليها، فوضعت شوكتها جانباً، ثم قالت: «أنت سترفض طلبي لتمديد مهلة القرض. أليس كذلك؟ لأنني لم أعطكَ أرباحاً مقابل استثمارك حتى الآن. لكنني لم أبدد أموالك أيضاً، فأنت لم تخسر شيئاً. كما أنك مليونير، وهذا الاستثمار لن يسبب لك الخسارة. لكنه يمثل كل شيء بالنسبة لي وللأشخاص الذين يعملون معي».

دفعت غرايس طبقها بعيداً، لأنها شعرت فجأة أنها مريضة وغير قادرة على تناول الطعام. سألته: «لماذا دعوتني للبقاء وزيارة مزرعة البن إن كنت مصمماً على الرفض؟».

لم يبتسم رافايل، بل قال: «ما زال لديك الوقت لتجعليني أبدل رأيي، آنسة تاكر. وأنا أعلم أن العائلة التي تملك الفازيندا سترغب جداً في لقائك وفي سماع ما لديك».

- سماع ما لدي بأي شأن؟

حدقت به، وملامح وجهها مشدوهة وخالية من أي تعابير. إنه يتكلم وكأنها ستعمل على تقديم أدلة وبراهين عن عملها.

- بشأن عملك، آنسة تاكر. ما داموا هم المصدرون الوحيدون لك، فعملك هو عملهم. أنتما مرتبطان بعقدة لا سبيل إلى حلها أو فصلها.

- هذا صحيح.

هذا الرجل يمسك بمستقبلها بين يديه، وفي هذه اللحظة يبدو المستقبل محفوفاً بالمخاطر. عليها أن تستعمل كل ما لديها من قدرات ذهنية لتحاول إقناعه. عليها إيجاد وسائل تجعله يبدل رأيه. مع ذلك وجدت غرايس أن من المستحيل عليها أن تركز، وكل ما تفعله هو ملاحظة التفاصيل التي لا أهمية لها مثل الشعر الأسود الذي يغطي صدره، كذلك حركة يديه الماهرتين الجميلتين. تذكرت فجأة ما قاله القبطان عنه: إن النساء يحمن حوله بالعشرات! في تلك اللحظة لم تهتم بتقييمه، لأنها اعتقدت أن ذلك ما هو إلا نتيجة طبيعية لثرائه وسلطته، لكنها الآن أدركت أن هناك أمراً آخر مختلفاً تماماً؛ إنه رجل جذاب بطبيعته.

رافايل كورديرو رجل برازيلي وسيم جداً. وهو يشع وسامة وجاذبية. حتى لو كان فقيراً معدماً، لظلت النساء يحمن حوله. مشاركتها المكان نفسه معه جعلها تدرك على الفور مدى اختلافهما.

WWW.EMMASATREWALI.COM
EMMA SATREWALI JEWELRY

شعرت بقوة بأنوثتها أمام رجولته الطاغية والمسيطرة على المكان.

بدت غرايس منشغلة به إلى درجة جعلتها لا تلاحظ أنه تم إبعاد طبقها ووضع فنجان القهوة أمامها. أجبرت نفسها على التركيز على شيء آخر سواه. رفعت فنجانها إلى شفتيها. تنشقت رائحة القهوة، وتأوهت بإعجاب. بغض النظر عن حجم الضغوطات التي تتعرض لها، فهي دائماً تشعر بالرضى والفرح عندما تتناول القهوة.

- لابد أن هذه أشهى رائحة في العالم!

- يسعدني أنك تظنين هذا، فالبن مصدره فازيندا محلية وهي ذاتها التي تؤمن البن لك.

رشفت من فنجانها وهي تقول: «إنها شهية».

ربما مالكو الفازيندا سيدعمون طلبها لأنه إن تم إقفال المقاهي، فعليهم أن يجدوا مشترياً جديداً لمحصولهم. تابعت بحماس: «أنا حقاً أتوق للقيام بهذه الزيارة إلى الفازيندا».

- جيد!

وضعت غرايس فنجانها على الطاولة وقالت: «حسناً! أمضينا الأمسية ونحن نتحدث عني، وهذا أمر ممل جداً. ماذا عنك؟ هل ولدت وكبرت هنا في البرازيل؟».

- لا أفهم كيف سيساعد الحديث عن ماضي على استمرار عملك.

نبرته حملت عُمقاً غريباً، ثم تابع بنعومة: «خذي بنصيحتي، وركزي على الأمور التي تهمك».

- كل ما في الأمر أنني فكرت بالتحدث عنك.

- لا أتحدث مطلقاً عن نفسي مع أي شخص. تذكري ذلك، ياآنسة!

نهض رافايل على قدميه بحركة سريعة رشيقة، فراودها انطباع غريب أن سؤالها البسيط أزعجه وأقلقه.

- لماذا؟ ألأنني إن اكتشفت شيئاً ما، عليك أن تقتلني، ثم تأكلني لتخفي جريمتك؟

تفوهت بالنكتة محاولة أن تضع ابتسامة على وجهه، لكن ملامح وجهه لم تتغير. بقيت ساخرة، قاسية، ولا يمكن فهمها، فتركت غرايس المحاولة وابتلعت ابتسامتها.

- أنا لست صحافية أو محبة للثرثرة سيد كورديرو، ولا أعتقد أن أي كاتب في أعمدة صحافة المشاهير سيهتم بزيارتي لمسكنك.

شعرت غرايس من حركات جسده أنه منزعج جداً، وكأنها تتحدث عن أمر يكرهه.

- كوني جاهزة في وقت مبكر، وارتدي ثياباً تجف بسرعة، لأن هذه الغابات مطيرة، ومن الطبيعي أن تتبللي.

- إذاً، لا مجال لانتعال حذاء ذي كعب عالٍ.

لاحظت أن تلك الملامح القاسية في وجهه لم تتبدل مطلقاً، فتنهدت. أظهرت لغة جسده أن لا شيء تغير بينهما، على الرغم من أنهما أمضيا الأمسية برفقة بعضهما. لم تلمح غرايس أي أثر لإمكانية دعمها أو ملاطفتها. صحيح أنها حظيت بمدة أطول من الدقائق العشر المخصصة للاجتماع، لكن كما يبدو بوضوح، يجب ألاّ تفسر مبادرته تلك على أنها تشجيع أو مهادنة لها. لكن، إن كان لا يرغب في تمديد فترة القرض، فلماذا يزعج نفسه بأخذها لرؤية الفازيندا؟ نظرت إلى الملامح الكئيبة على وجهه الوسيم، وشعرت بأعماقها تثور. هي لا تعلم ما الذي يدور في رأسه، لكنها قادرة على المراهنة أن ما يفكر به نحوها ليس لطيفاً.

* * *

تقلبت غرايس مطولاً في فراشها، وهي تستعيد ذلك النقاش مع

WWW.HAMSATREWAYA.COM JEWELRY

رافايل مراراً وتكراراً، كما شعرت أن كل مايحيط بها في الغابة يتطفل عليها. أحست بكل ما حولها حياً من خلال الأصوات والزقزقة والعواء والنحيب الذي يعلو في بعض الأوقات. عندما استسلمت للنوم، ظل رأسها مليئاً بصورٍ للبليونير البرازيلي المتفاخر، الذي يملك ماضياً كريهاً مؤلماً. يا له من صاحب شخصية مسيطرة وقاسية! أخيراً تخلت عن فكرة النوم، ونهضت لتسير نحو النافذة، واكتشفت أنها تطل على القبة الزجاجية التي تغطي مكتبه. كان رافايل هنا! حتى في ظلام الليل كان جالساً إلى مكتبه، يمسك بالهاتف بين كتفه وخده، وعيناه مركزتان على الشاشة.

إذاً، بقاؤه في الغابات الاستوائية لا يمنعه من العمل، ومن دفع مؤسسته الضخمة للوصول إلى مستويات أعلى وأعلى. قد يكون مختبئاً في الأدغال، لكنه ما زال متصلاً بقوة بالحضارة. لكن، أتراه لا يستطيع النوم؟ وما سبب هذه القسوة التي تراها في عينيه؟ تدافعت الأسئلة في رأسها وهي واقفة هناك تراقبه، ثم انسحبت أخيراً، وهي تشعر كأنها تطفلت على جزء خاص من حياته. في النهاية، إن لم يرغب في الذهاب إلى السرير ليرتاح وينام، فهذا أمر لا يعنيها. أليس كذلك؟

عادت غرايس إلى السرير، وهي تبعد عن مخيلتها صور صاحب الشعر الأسود اللماع والملامح الوسيمة المتكبرة.

استيقظت أخيراً من ذلك النوم المتقلقل، فوجدت أن الطقس ماطر. الأمطار المتساقطة تغسل الأشجار، وتثقل الهواء بالرطوبة، مع أن الجو ما زال حاراً جداً. ارتدت سروالها الخفيف وقميصها البيضاء، وانتعلت الحذاء الرياضي، ثم عقدت شعرها إلى الوراء. تساءلت، ماذا يمكن لرافايل أن يقول، لو أنه يعلم أنها تشعر بارتياح أكبر في هذه الثياب مما كانت عليه وهي مرتدية تلك الثياب الأنيقة بعد ظهر البارحة؟ من المحتمل أنه لن يصدقها. من الواضح أنه يحمل شعوراً بالازدراء الحاد

نحو النساء. من أين أتى هذا الشعور؟ وهل حكمه الطاغي على بنات جنسها سينعكس عليها؟

قررت غرايس أن تفكر بصورة إيجابية. حدقت بصورتها في المرآة مخاطبةً ذاتها بكثيرٍ من الأفكار الإيجابية؛ إنه يوم جديد. الأمس مضى، وهي الآن أمام نهارٍ جديد. ها هي قد حظيت بيوم إضافي لإقناعه بأن استمراره في دعم عملها هو أمر جيد للجميع. إلاّ أن ما لم تفهمه هو اهتمامه، فرافايل كورديرو لم يهتم يوماً بهذا الشكل لمبلغ صغيرٍ من الأموال كهذا. أتراه حقاً يعطي أهمية كبرى للمال، ويتكبد من أجله مثل هذا العناء، أم أن هناك شيئاً آخر يربض في تلك العينين الغامضتين؟

كان رافايل يتحدث عبر الهاتف عندما أدخلتها ماريا إلى مكتبه. شعرت غرايس بالتوتر وهي تصغي إلى ما يبدو بوضوح أنه نقاش يتعلق بعملٍ ما. كان رافايل يتفوه بكلماته القليلة بنبرة حاسمة، مُصدراً الأوامر بسيطرةٍ وسلطةٍ واضحتين، ما جعلها تشعر بالأسى نحو الشخص الموجود على الطرف الآخر من الهاتف. تساءلت، هل يحب موظفوه العمل معه، أم أن من يعمل معه يمضي حياته في حذر وتوتر دائمين؟

عندما تكون غرايس في اجتماع مع فريق عملها، كانوا يخلعون أحذيتهم ويجلسون على الأرائك حاملين أكواب الشاي في أيديهم، فيما يقوم كل شخص بإبداء رأيه بحرية ووضوح، والجميع يتشاجرون بأصوات عالية. ابتسمت بقلق واضح. أيحتمل أن يكون هذا هو السبب الذي يجعل عملها متعثراً؟ ربما عليها العودة إلى غرفتها لتتمرن على طريقة تظهرها أكثر سلطة وهيبة أمامه. أنهى رافايل الاتصال، ونظر إليها قائلاً: «ماذا؟ أما من بذلة رسمية، أو حذاء بكعب عالٍ؟».

من الواضح أنه يعتقد أنها مولعة بالأزياء، وتعليقه يؤكد شكها. يبدو أنه معتاد على النساء اللواتي لا يفعلن شيئاً في الحياة غير التسوق

والاهتمام بزينتهن. قررت غرايس أن تبقي الحديث بينهما محصوراً في إطار العمل.

– ما أرتديه مناسب أكثر للغابات. متى ستصل الطائرة المروحية؟

قال رافايل بنبرة ناعمة كالحرير: «لن نذهب بالطائرة، غرايس. سنذهب سيراً على الأقدام. أتمنى أن يكون الحذاء الذي تنتعلينه متيناً، لأنك ستخضعين لامتحان اليوم».

أمن المفترض أن يخيفها ذلك؟ كادت غرايس تضحك. ما لا يعرفه رافايل هو أن حياتها بكاملها كانت سلسلةً من الامتحانات. تساءلت لماذا يتوقع منها الجميع أن تفشل؟ حذرت نفسها كي لا تتلفظ بأية كلمة تدل على التذمر. رفعت ذقنها وعلقت: «أنت تريدني أن أفشل. أليس كذلك؟ لماذا تريدني أن أبدو كالحمقاء؟ ألأن شركتي لم تعطكَ ما يكفي من المال؟ هل الأمر هام إلى هذه الدرجة؟».

نظر إليها رافايل مطولاً، ثم انحنى ورفع حقيبتين عن الأرض، وقال: «هذه الرحلة ستستغرق ساعتين من الوقت، هذا إذا لم يُغرق المطر الممر كالمعتاد».

دفع إحدى الحقائب إليها، وتابع: «لنذهب! سنتناول الفطور في الطريق».

لم يجب عن سؤالها، لكن راودها شعور غريبٌ بأنها ستكتشف الجواب بنفسها خلال وقت قصير جداً.

٣ ـ الحقيقة المرّة

استمر المطر بالهطول طوال الوقت. سلك رافايل الممر المعتاد. راح يلتفت أحياناً من وراء كتفه، ليتأكد أن غرايس ما تزال وراءه. ظهرت ابتسامة مترددة على فمه ما إن رآها تمشي بتثاقل. تبلل شعرها الأشقر بالمطر، والتصق برأسها، فتحوّل لونه من لون القمح الصيفي المشرق إلى لون ذهبي معتق. أما ثيابها فالتصقت بجسدها. لاحظ نظراتها المليئة بالتوتر، وشعر بانجذاب قوي يسيطر عليه، جعله يشعر بالرغبة في الاقتراب منها و... مهلاً! هذا يثبت له أن الانجذاب الحسي ليس طريقةً صحيحةً للحكم على شخصية المرء، وهذه حقيقة تعلمها منذ وقتٍ طويلٍ جداً.

هزّ رأسه وهو يبتسم بسخرية، ثم تابع السير، معتمداً على المجهود الجسدي والتعب ليخففا من ردة فعله القوية وانشغاله الدائم بها. على الأقل هي لم تتذمر. حتى الآن، لم يسمع منها أي تعليق بشأن شعورها بالتعب، ولم تتذمر لأن ظفرها انكسر، أو لأن شعرها أصبح مبللاً، أو لأن حشرة لسعتها. توقع منها أن تعترض أو على الأقل أن تظهر إشارات تدل على توترها أو تعبها، لكنها تابعت سيرها متتبعة خطواته بحزم منتبهة إلى الطريق أمامها، وهي تتوخى الحذر في كل خطوة. عندما قاما باجتياز النهر، انزلقت قدم غرايس على الحاجز المصقول كالزجاج، وسقطت في المياه، إلاّ أنها تجاهلت بكبرياء يد رافايل الممدودة نحوها، وجذبت نفسها فوق الصخور حتى وصلت إلى الجهة

WWW.MAATRIMANIYA.COM

الأخرى.

فكر رافايل، إنها كاذبة ومخادعة ومختلسة. كل الأرقام تشير إلى تلك الحقيقة، لماذا إذاً يستمر في إدارة رأسه إلى الوراء لينظر إليها؟ لماذا يشعر بهذا الانجذاب القوي نحوها؟ إنها ملطخة بالوحل بشكلٍ يُرثى له، وتبدو منزعجة جداً. مع ذلك ما زالت تسير خلفه بإصرار.

- ما هذا؟

توقف رافايل، ونظر إلى حيث تنظر. نظر إلى الأغصان المتشابكة الملتفة حول أشجار، وسألها: «ماذا؟».

أبعدت غرايس شعرها الرطب عن عينيها، وأشارت: «هناك في الأعلى... ذلك العصفور الأحمر. كم هو جميل!».

نظر إلى وجهها متسائلاً إن كان ما تقوم به جزء من مشهد تمثيلي، لكن عينيها الزرقاوين بدتا مركزتين على الريش الأحمر للعصفور الواقف بين الأغصان. عندما استدارت نحوه، لاحظ تعبيراً غريباً يعلو وجهها. قالت بنبرة ساخرة، وهي توازن الحقيبة على ظهرها: «ما اسم هذا المكان؟ آه! بالطبع، أنت لا تعرف. مع أنه يقع تقريباً خلف حديقتك».

قال بخشونة:

- هذه ليست جولة في الطبيعة.

رفع نظره ما إن انشق البرق منذراً بهطول المزيدِ من المطر، وتابع: «سنحتمي هنا قليلاً».

شدها لتحتمي تحت شجرةٍ قريبةٍ. دفعت غرايس شعرها المبلل عن وجهها، وعيناها تلمعان بالضحك، فهزه شعور قوي، وأغضبته فكرة أنها فعلاً تستمتع بوقتها.

- ما الغاية من الاختباء؟ بعد أن تقع في النهر، لن يزعجك المطر.

لكي تبرهن ما قالته، أمسكت غرايس بطرف قميصها بين يديها

وعصرتها، فسقطت المياه منها على الأرض. قالت: «أرأيت ما أعني؟».

سارا لأكثر من ساعة، ولا بد أنها متعبة، لكنها لم تتذمر مطلقاً. شعر رافايل بإعجاب نحوها ولو على مضض. لا مجال للشك بأنها جشعة ومحتالة، لكن عليه أن يعترف أنها قوية وقادرة على تحمل المشقات. في الواقع، هو لا يعرف امرأة أخرى قد تتخلى عن حذائها الأنيق بفرح وتستبدله بحذاء رياضي لتسير في الغابات الاستوائية من دون أي تذمر. ذكر نفسه على الفور أنها لا تجرؤ على التذمر، فهي ما زالت تأمل بإقناعه إعطائها المال. غضب رافايل من ردة فعله نحوها. لمَ تؤثر فيه هذه المرأة على هذا النحو، مع أنها لا تملك أية صفات أنثوية غير عادية؟

اتكأت غرايس على الشجرة. أغمضت عينيها، وراحت تتنشق عطر الغابة. لاحظ رافايل خديها المتوردين الرطبين، وقطرات الماء التي ترشح منها. بدت متناغمة تماماً مع الطبيعة التي تحيط بها، وكأنها جزء من الغابة. طغى عليه إحساس قوي يدفعه للاقتراب منها. شعر بالحرارة تجتاحه وهو ينظر إليها. حدق بخصرها النحيل، ولاحظ أن سروالها الملطخ بالوحل تمزق عند ساقها، أما حذاؤها فبدا بالياً. مع ذلك، لم يتذكر أنه شعر يوماً بالانجذاب نحو امرأة كما يشعر الآن نحوها. توقف للحظة، محاولاً السيطرة على إحساس بدائي تملكه.

وكأنما شعرت غرايس بنظراته، لأنها فتحت عينيها ببطء، ثم نظرت إليه بهدوء. غاب الحذر ليحل مكانه الفضول، ثم تحول إلى شيء مختلف كلياً، شيء تشاركا به للحظة طويلة. أثقل الهواء بذلك الإحساس الذي ساد عند لقائهما الأول، وكأنه انبعث إلى الحياة من جديد.

قراره بالانتظار والتريث حتى يتوصلا إلى اتفاقٍ حول عملهما قبل

WWW.ELMASAEEMIYA.COM JEWELRY

نقل علاقتهما إلى مستوى أكثر حميمية تبخر بلمحةٍ بصر بسبب هذا الإحساس الغريب. تصرف رافايل وفق ما دفعه إليه حدسه. تقدم نحو غرايس، وعانقها. أحاطت حياة الغابة والأمطار بهما، لكنه لم يسمع إلا تنهداتها الناعمة وتردد أنفاسه الحارة، التي خلقت سحراً غريباً رائعاً، عزلهما عن كل ما يحيط بهما.

بعد مرور عدة لحظات، أطبقت يداها على كتفيه، وأبعدتاه عنها. قالت وهي تبحث عن القوة لتتكلم: «لا! علينا أن نتوقف».

احتاج رافايل للحظة ليفهم ما تطلبه منه. تراجع إلى الوراء مندهشاً من قوة انجذابه نحوها، ومتفاجئاً أكثر من رغبتها في إيقافه. لماذا تريده أن يتوقف؟ نظر من وراء كتفه نحو الممر الذي اختفى كلياً بسبب انهمار المطر الغزير. قال محاولاً إقناعها: «ثقي بي! لن يمر أحد من هنا، إن كان هذا ما يقلقك».

- لا يتعلق الأمر بأي شخص آخر، بل بما يحدث بيننا نحن الاثنين.

شعر رافايل بالرهبة، وأصابته قشعريرة وصلت حتى عظامه. قال: «ليس هناك من شيء يحدث بيننا».

أبعدت غرايس خصل شعرها المبلل عن عينيها بيدٍ مرتجفةٍ، وقالت: «منذ لحظة كنت تعانقني وتضمني إليك والآن...».

حدق بها كأنه لم يفهم كلمة مما قالته. سألها: «والآن... ماذا؟».

هزت رأسها، وأجابت: «حسناً! إذا عانق رجل امرأة، فهذا يعني أن شيئاً ما يحدث بينهما».

مرر رافايل أصابعه في شعره محاولاً السيطرة على إحساس الشوق الذي يكاد يلتهمه.

- أليس الأمر واضحاً؟ أجدك جذابة.

حدقت به غرايس بقوة قبل أن تقول: «لكنك لست معجباً بي. أليس كذلك؟».

ضغط رافايل بقوة على أسنانه. مطلقاً! لو عاش مليون سنة، لما فهم كيف يمكن لامرأة أن تسأل سؤالاً بمثل هذا الوضوح. قال: «ما صلة ذلك بما حدث؟».

مسحت وجهها بيدها لتزيل قطرات الماء عنه، وهي تقول: «عانقتني للتو».

- وأنت بادلتني العناق.

حدقت به من دون أن يرف لها جفن، وأجابت: «أجل، وأنا طلبت منك أن تتوقف. لا يمكنني أن أسمح لشخصٍ غير معجب بي أن يعانقني، فهذا أمر خاطئ ومهين».

كاد رافايل يؤكد لها إن عناقهما أمر مثالي جداً، لكنه فكر بطريقة مختلفة.

- ما الذي دفعك إذاً لتطويقي بذراعيك؟

تورد وجهها على الفور، وقالت: «أعترف أنني لم أشعر من قبل بمثل هذا الشعور».

ابتعدت غرايس عنه، وتابعت: «لكن هناك أسباباً كثيرة تثبت أنه تصرف خاطئ. أحد هذه الأسباب هو أنك المسؤول عن القرض».

- أتريدين أن أضمن لك استمرار القرض قبل أن تتطور علاقتنا؟

بالطبع، هذا ما تريده! شعر بالغضب من نفسه لأنه كسر القاعدة وعقّد الوضع أكثر. هزت رأسها قبل أن تجيبه: «بالطبع لا! أنا أريدك أن تمدد فترة القرض، لكن ليس بسبب أي شيء آخر قد يحدث بيننا».

- إن عناقنا لن يُحدث تغييراً في الوقائع، ولن يكون هناك أي تعليق. أضمن لك ذلك.

- آه، حسناً! هذا أمر في منتهى الرومنسية.

مال رافايل إلى الأمام، ووضع ذراعه على الشجرة، ما جعل جسده أقرب إليها. قال: «ليس من المفترض أن يكون رومنسياً».

WWW.HAMABATREWAIA.COM

رفع ذقنها بإصبعه مجبراً إياها على النظر إلى عينيه، قبل أن يتابع: «الرومنسية مجرد أكاذيب يتفوه بها الناس. أهذا ما تنوين القيام به، غرايس؟ هل ستتفوهين بتلك الأكاذيب فيما كلانا يعلم أنك لا تحبينني؟ ما يحدث معنا هو مجرد انجذاب حسي محض».

لمع شيء ما في عينيها الزرقاوين، وقالت: «أنت مُربك، وتخلط بين الأمرين بشكل خاطئ».

سخرية كلامها دفعته إلى الابتسام. قال: «أنا صريح وواضح، ولست أنا من يقوم بالألاعيب، آنسة تاكر».

رفعت غرايس ذقنها، وأجابت: «أنا لا أقوم بأية لعبة، لكنني لا أقيم علاقة غرامية مع رجال لا أعرفهم، لا سيما الذين لا يهتمون مطلقاً بالعواطف والمشاعر».

هو يهتم بنسائه، لكنه يقيم علاقاته وفق قواعد وضعها بنفسه. مجرد التلفظ بكلمة «غرامية» جعله يشعر بمرارة في فمه: «لم أقل كلمة بشأن الغرام».

لمع شيء ما في عينيها وأجابت: «هل تريد معانقتي بطريقة حسية لا عاطفة فيها؟».

- تماماً!

اقترب منها أكثر، وشعر بالانجذاب بينهما يتوهج من جديد.

- إنه مجرد إحساس مثل الجوع أو العطش.

- أنت لا تعني ما تقوله.

شهقت غرايس بخيبة أمل، وسارت نحو الممر، وهي تحف ذراعيها بيديها. تابعت تقول: «لطالما حاولت إيجاد الأعذار لكَ، واعتبارك بريئاً لفقدان الأدلة التي تدينك. قلت لنفسي: لا يمكن أن تكون حقاً متحجر القلب كما يُقال عنك. لا بد أنك عشت حياةً صعبةً، ما جعل الأمور صعبة عليك».

ضغط رافايل على أسنانه بإحباط. لماذا تفعل النساء ذلك دوماً؟ لماذا يحاولن شرح كل قضية بأدق تفاصيلها ليصلن إلى العظام؟ حمل الحقيبة على ظهره، وسار أمامها ليصل إلى الممر، وهو يقول: «العلاقات الجسدية مجرد علاقات. كل ما في الأمر أن قلة من النساء تملك الشجاعة للاعتراف بهذه الحقيقة. معظم النساء يفضلن استخدام وشاح العاطفة كستار يختبئن خلفه لإجبار الرجال على الارتباط بهن، لم ينتحبن عندما تنتهي العلاقة. لهذا السبب، نجد أن معدلات الطلاق في ارتفاع مستمر».

والآن من الذي يشرح الأمور حتى العظم؟ شعر بالغضب منها لأنها قادته إلى موضوع وعد نفسه بتجنب الحديث عنه، وغضب من نفسه لأنه لم يقطع عليها الطريق منذ البداية. ضغط على فمه بقسوة، واستأنف السير من جديد.

- أهذا ما حدث معك؟

سمع صوتها من ورائه، فاستدار. تأوه بإحباط: «ما الذي قلته؟».

وقفت غرايس تحت المطر، وعيناها تلمعان بشدة. لم يكن هناك أي أثر لابتسامة على وجهها. تحديقها الصريح أزعجه أكثر مما يمكن له أن يتخيل. من دون أن يدرك السبب، عاد رافايل بالخطى متوجهاً نحوها، والغضب يتصاعد في أعماقه. لم يعلم إن كان هذا الغضب موجهاً نحوه أم نحو الفتاة. في الوقت الحالي هو غير متأكد مما يشعر به. ما يعرفه هو أنه اكتفى من النقاش، واكتفى من غرايس تاكر. من الآن فصاعداً سينسى كل شيء عنها، سينسى رشاقتها وغمازتيها وشعرها الحريري الأشقر. ها هي تنظر إليه الآن بالطريقة التي تنظر فيها النساء عندما يردن أن ينفتح المرء عليهن ليبوح لهن بأسراره العميقة، وهكذا يمكنهن بيعها إلى الصحف مقابل مبلغ من المال. كاد رافايل يضحك. تساءل ما الذي ستقوله لو أنها علمت أن حقيقته يمكن أن تباع

WWW.HANAS-JEWELRY.COM

بما يوازي ثروة صغيرة؟ قالت غرايس ببطء: «سألتك إن كان هذا ما حدث معك. لا بد من وجود سبب يدفعك للتصرف على هذا النحو».

ابتلع رافايل ضحكة مُرة، وقال في سره: آه! هناك سبب قاس بالطبع، لكن ما الذي ستفعله امرأة مثل غرايس تاكر بهذه المعلومة؟ لاشك أنها ستستعملها لتؤمن القرض الذي تحتاجه، وهكذا تستمر في عملها الصغير الفاسد. فجأة عادت به الذكريات إلى طفولته.

– لماذا أتصرف بهذه الطريقة؟ لأنني رجل. هذه هي الطريقة التي يفكر بها الرجال.

شعر بالانزعاج من تصميمها الواضح للحصول على معلومات منه، ولم يستطع أن يخفي فقدانه للصبر وهو يتكلم. سمعها تشهق بقوة قبل أن تقول: «كل ما في الأمر أنني لا أستطيع التصديق أنك بارد وعديم الإحساس كما يقولون».

– حسناً! أنا كذلك.

بدا الارتعاش في نبرة صوته بسبب مشاعرالحقد والانتقام التي تسيطر عليه. تابع يقول: «قبل أن تسأليني أسئلة شخصية، تذكري أن لا رغبة لدي مطلقاً في الإجابة عنها».

تساءل ما الذي تملكه غرايس تاكر ليفكر بالسير عبر الغابة الاستوائية برفقتها. ضغط رافايل أسنانه على بعضها، واستدار مبتعداً عنها. اختار أن يسلك الممر القديم كمرحلةٍ أخرى من مراحل معاقبتها. سارت غرايس بصمت محدقةً بالأرض كي لا تزل قدمها في تلك الطريق الوعرة المنزلقة. شعرت بالندم لأنها طرحت عليه ذلك السؤال. عندما عاد رافايل نحوها، كانت ملامح الغضب والتهديد تعلو وجهه الوسيم، وللحظة مرعبة وغريبة علمت أنها تمادت كثيراً. شعرت بالخوف في البداية، لكن خوفها تحول إلى اهتمام وتعاطف عندما رأت عينيه. ما رأته فيهما، لم يكن عنفاً بل مرارة وألماً وسخرية. ما الذي سبّب له هذا

الغموض وتلك الكآبة اللذين رأتهما بوضوح في عينيه؟ أي ذكريات تلاحق لياليه وتبقيه ساهراً محدقاً بشاشة الكومبيوتر؟ ولماذا عانقها؟

فجأة فهمت مقدار الفراغ المظلم الذي رأته في عينيه. رافايل كورديرو رجل يعيش حياته بدون حب. لماذا؟ والأهم من ذلك، لماذا تشغل نفسها به؟

تابعا سيرهما صامتين، فكل كلمة سوف تزيد التوتر بينهما، لكن أصوات الغابة بددت الصمت الثقيل. سمعا تغريد الطيور ونقيق الضفادع وصوت هزار القرود، حتى أصبحت الأصوات مألوفة لديهما، وأمنت لهما مواكبة دائمة للتخفيف من وطأة المجهود الجسدي الذي يبذلانه والضغط الذي يحسانه. أحياناً، كان رافايل ينظر من فوق كتفه إليها. لم تعلم غرايس لماذا يفعل ذلك، فهي تشعر أنه لن يمانع إن رفعت على رأسها في النهر الذي يتهادى بفرح على جانب الممر. لا شك أنه يتمنى لو أنه الآن بمفرده في غابته الساحرة. أخطأت بمحاولة تقربها منه وسبر غور أعماقه الغامضة. من الآن فصاعداً، سوف تبقي على مسافة كافية بينهما. هذا ما ستفعله؛ لن تقترب منه أبداً.

سيزوران الفازيندا كما خططا، ثم سيعودان إلى المسكن، ليعطيها جوابه النهائي بشأن عملها. ومهما كان جوابه، ستغادر. بعدئذٍ، سيصبح رافايل كورديرو وأسراره الغامضة ووجهة نظره الساخرة في الحب وفي الحياة جزءاً من الماضي. هي ليست مستعدة للتخلي عن أحلامها... انشغلت غرايس بأفكارها، ولم تدرك أن رافايل توقف فجأة أمامها، حتى اصطدمت به. أبعدت يده عنها عندما حاول الامساك بها كي لا تقع، وتراجعت إلى الوراء، وهي تقول: «آسفة. لماذا توقفنا؟».

– من هنا تبدأ الفازيندا.

تلك كانت الكلمات الأولى التي تلفظ بها منذ إجابته عن سؤالها

WWW.HARLEQUINARABIA.COM

المزعج، لم يظهر أي دفء أو إحساس في نبرة صوته بل مجرد عرض للواقع. نظرت غرايس حولها بتعجب، فرأت الأدغال الكثيفة تحيط بكل جانب من الممر. قالت: «ما زلنا في الغابة».

- تنمو أشجار البن في الغابة. المالكون يعتنون بالأراضي المحيطة بهم، فيديرون أعمالهم بانسجام كلي مع الطبيعة، وهذا يبدو بمنتهى الكمال في العلاقات بين الكائنات الحية وبيئتها.

ظهر الضيق على وجهه، وهو يتابع: «وأنت تهتمين بأمور كهذه. أليس كذلك، غرايس؟».

هاهو يعود من جديد إلى الموضوع نفسه! رمقها بتلك النظرة القاسية والتعليقات الساخرة التي تحمل أكثر من معنى. غاب الانجذاب بينهما، وبردت الحرارة التي تشاركاها تحت أمطار الغابة. لم تعلق غرايس بكلمة واحدة. لِمَ ستفعل؟ هي تعلم أن ما تشاركا به مر سريعاً ولم يترك لديه أي أثر. إحساسٌ عابرٌ انقضى بسرعة بسبب الكلمات التي قيلت بعده. حسناً! لا يمكن لأي شيء بينهما أن يستمر إن لم يُبنَ على الشعور العميق...

أبعدت تلك الأفكار الخطرة المقلقة عن رأسها، وقررت أن تجاريه في لعبته، رافضةً أن تسمح لنبرة صوته أن تقلقها أو تزيد من توترها. قالت: «أجل، أنا أهتم فعلاً. أنا أعرف تاريخ الفازيندا، ونحن ندفع ثمن البن مهما ارتفع لأنه ينمو في محيط طبيعي. لو أننا استعملنا البن الأرخص ثمناً، لبدأت تكسب أرباحاً من استثمارك قبل الآن».

ولما كان غاضباً منها كما هو الآن. يبدو أن المال هو العنصر الوحيد المهم في حياته. فجأة وجدت نفسها تتساءل مجدداً عن زوجته. ألهذا السبب تركته زوجته الفاتنة المبذرة؟ ألأن تركيزه الدائم منصب على الدولارات والأرباح؟

- أنت تهتمين بالفعل. أليس كذلك، غرايس؟

رأت غرايس تلك النظرة الساخرة التي أصبحت مألوفة لديها في عينيه، وهو يتابع: «أقترح أن نؤجل هذا الحديث الخاص حتى تقومي بجولة في الفازيندا».

سارا قُدماً ماريْن بجداول وينابيع. شاهدا قطيعاً من الماعز يرعى، ودجاجاتٍ تسير دون سياج حولها، ثم مجموعة من الأطفال يلعبون لعبة الثور الكثير من الفوضى والغبار. ما إن سارا نحو بعض المباني، حتى جاء للقائهما رجل وامرأة ثيابهما البسيطة بالية وملطخة بالتراب. حرارة شمس البرازيل جعدت بشرة وجهيهما وأيديهما، لذا بدا من الصعب التأكد من عمريهما الحقيقيين، لكن غرايس قدرت أنهما في أواخر الستينيات من عمريهما. مدت المرأة يديها الاثنتين، لترحب برافايل بحنان واحترام ظاهرين. تحدث إليها رافايل باللغة البرتغالية، ونظرته متجه نحو غرايس أحياناً، لتفهمها أنها محور الحديث.

عملت غرايس على إبعاد شعرها عن وجهها، متمنية ألا يمانعا ارتداءها بهذه الفوضى، لكنهما كما يبدو لم يلاحظا ثيابها الرطبة، ولم يهتما لرؤيتها. بدلاً من ذلك أصغيا باهتمام إلى ما يقوله رافايل، وهما يرمقانها بنظرات قلقة. ما لبثت ابتساماتهما المرحبة أن تجمدت بسبب ما يقوله لهما. مهما كان ما يقوله رافايل، فهي متأكدة أنه مسيئ لها. مع أنها لا تفهم سبب عداوته تلك. هي تشعر بالطبع أنه ليس معجباً بها، إلا من الناحية الجسدية، كما ذكرت نفسها بانزعاج. شعرت بتبدل مشاعر الزوجين فيما هو يتكلم. نظرا إليها بمزيج من التوتر والذعر، وشيء من الغضب شعرت غرايس فجأة بالتوتر. لمست ذراع رافايل وهي تقول: «هل أزعجتهما زيارتي المفاجئة؟ إن كان الأمر كذلك، يمكننا أن نعود أدراجنا إلى المنزل، وننسى الأمر».

- المنزل؟!

ذكرتها السخرية في صوته، أنها لا تملك أي حق في اعتبار منزله

WWW.LIBRARYALEXANDRIA.COM

ملاذها، فهي دخيلة عليه. آه! إنها لم تشعر يوماً أنها غريبة عن الآخرين كما تشعر الآن. تمتمت مصححة بسرعة:

- أقصد منزلك، بالطبع.

تساءلت لماذا تشعر كأنها تسير فوق حقل ألغام كلما تبادلا الكلام. تأملها رافايل للحظة بنظرة مباشرة وغير متعاطفة، ثم قال: «زيارتك لم تزعجهما، لكن من الطبيعي أن تكون مقلقة ومخيبة لآمالهما».

- لماذا يجب أن تكون مخيبة للآمال؟ هل يعلمان أن عملي معرض للإفلاس؟

تجاهل رافايل سؤالها، وعاد ليتحدث بالبرتغالية مع الزوجين. لم تفهم غرايس ما يقوله، لكن بدا لها أنه يؤكد لهما دعمه بشأن شيء ما. دعمه وتأكيده أثرا بهما على ما يبدو، لأن المرأة مدّت يدها لتمسك بيده، وهي تنظر إليه بامتنان. تسمرت غرايس في مكانها بسبب الرقة غير المتوقعة التي رأتها في عينيه السوداوين. لاحظت كيف أطبقت أصابعه القوية فوق يد المرأة العجوز الخشنة، وراحت تضغط عليها بمودة. هو قادر إذاً على التواصل العاطفي. ربما ليس الحب، لكنها عاطفة ما. عاطفة ليست موجهة إلى ممثلة من هوليود، بل إلى امرأة تعيش في الغابة... امرأة حياتها مختلفة تماماً عن حياته. ترك رافايل يد المرأة العجوز، وعاد ليتحدث بالإنكليزية بسهولة وطلاقة جعلتا غرايس تشعر بالحسد. تقدمت نحوهما وهي تبتسم، بينما كان رافايل يعرفها عليهما. قال بهدوء: «كارلوس وفلومينا يعملان في المزرعة مع أولادهما وعدد من العمال الذين يأتون للمساعدة من البلدة المجاورة».

نظرت غرايس إلى الأطفال الذين يلعبون ببرميل الماء، وسألته: «هل هؤلاء أطفالهما؟».

- بل أحفادهما. أولادهما يعملون في المزرعة.

تقدمت فلومينا إلى الأمام، وتلفظت ببضع كلمات باللغة البرتغالية.

- تقول إنهما سعيدان لقدومك إلى هنا. هكذا ستحظين بفرصة لتري ما يفعلانه.

أحست بشيء ما في نبرة صوته جعلتها تشعر بالضيق، لكنها عانت من اللعب على الكلمات، ما يكفيها حتى آخر الزيارة. هزت رأسها ببساطة، وابتسمت مشيرة إلى أنها هي أيضاً سعيدة مثلهما. سارا برفقتها، وهما يتحدثان بسرعة ويشيران بأيديهما، فنظرت غرايس إلى رافايل كي يترجم لها، متجنبة النظر إلى قميصه الرطبة الملتصقة بكتفيه العريضتين.

- ما الذي يقولانه؟

- يقولان لك إن البن ينمو في ظل أشجار الغابة. بهذه الطريقة تتم المحافظة على البيئة، إذ تتمكن الأشجار البرية من المحافظة على النيتروجين في التربة، ما يساعد أشجار البن على النمو.

توقف عن الكلام ما إن تحدثت فلومينا، ثم تابع: «قالت إن المحافظة على الأشجار تمنع التربة من الانزلاق، وتحمي أشجار البُن من الطقس القاسي. هكذا تزداد نسبة السكر الطبيعي، ما يُضاعف من جودة القهوة ويغني طعمها ورائحتها».

ابتسمت غرايس، وهزت رأسها قائلة: «كما أن تساقط أوراق الأشجار يؤمن الغذاء، ويحافظ على رطوبة التربة. من فضلك، قل لهما إني أدرك جيداً أهمية نمو أشجار البُن في الظل. في كل مقهى، لدينا جدار مخصص لسرد هذه القصة. يستمتع الناس بشرب القهوة أكثر، وهم يعلمون أنهم بذلك يحافظون على الغابات الاستوائية».

- تسويق لمنجم من الذهب. أنا متأكد من ذلك.

ظهر الازدراء في عيني رافايل، وحدق بها للحظة، ثم استدار وتحدث بهدوء مع المرأة. تجاوبت هذه الأخيرة على الفور، فلوحت بيديها، ثم نظرت نحو زوجها. علت الأصوات من جديد، ثم غطت

WWW.HARLEQUIN-ARABIA.COM

المرأة فمها بيدها، وهزت رأسها، فيما تلألأت الدموع في عينيها. شعرت غرايس باهتمام عميق نحو السيدة، وتقدمت نحوها، ثم استدارت نحو رافايل ليشرح لها ما يحدث.

- ما الأمر؟ ما الذي يقولانه؟ ما الذي يجري هنا؟

نظرت المرأة بتصميم نحو زوجها، ثم تقدمت من غرايس، وقالت: «فوسي طوما أم كافيزينو؟».

فهمت غرايس أن كلمة كافيزينو تعني القهوة، فهزت رأسها بحماس قبل أن تنظر إلى رافايل لتؤكد ما فهمته. سألته: «هل تدعوني لأتذوق القهوة؟».

- إنها تقدم لك ضيافة.

بدا وجهه قاسياً جداً وهو يضيف: «في هذه الظروف، هذا أكثر مما تستحقين».

أكثر مما تستحق؟! سألته: «أية ظروف؟ ولماذا هي غاضبة مني؟».

- هما يرغبان في تقديم الضيافة لك، وفي المقابل يأملان أن تدفعي لهما ما يستحقان بأمانة.

لمعت عيناه بغضب مكبوت، وهو يتابع: «انتهت لعبتك، آنسة تاكر».

لعبة! أية لعبة؟ ليس الوقت مناسباً الآن لتسأله أن يفسر ما قاله، لأنه سار بصحبة كارلوس وفلومينا إلى أقرب منزل، تاركاً إياها لتتبعهم عبر الممر الضيق الذي يمر بمحاذاة النهر، ثم يلتف صعوداً نحو صخور مشرفة على المباني المتجمعة في نهاية الغابة. أتعبتها محاولاتها المتكررة لفهم تعليقات رافايل الساخرة، فراحت غرايس تمتع نظرها بما تراه حولها. فوجئت برؤية بعض الأشجار المثمرة والأزهار وأنواع كثيرة من النباتات المختلفة.

- إنها جميلة جداً. هل يزرعون محاصيل أخرى غير أشجار البن؟

إن ظنت أن اهتمامها سيساعدها في التقرب منه، فقد خاب أملها على الفور، لأن إجابته جاءت مختصرة وغير مشجعة.

- إنهم يزرعون العديد من المحاصيل. هذه طريقة للعيش وللتقليل من الأمراض والنباتات الضارة.

- لا بد أنه عمل صعب، لا سيما أنهم يعتمدون بشكل دائم على البيئة المحيطة بهم.

وصلوا إلى المنزل، فوقف رافايل جانباً ليسمح لها أن تتبع العائلة إلى الداخل، وعيناه تعكسان غضبه.

- التهديدات التي تعترض حياتهم لا تأتي فقط من الطبيعة.

جلس الجميع، وأخذت غرايس فنجان القهوة بامتنان ما إن قُدم لها. رشفت منه ببطء، وتأوهت بإعجاب للرائحة والطعم اللذين أثارا حواسها وأنعشاها.

- إنها شهية، وطعمها أفضل بكثير مما هو عليه في بلادي.

ساد الصمت لفترة طويلة، ثم بدأت فلومينا بالتحدث. شعرت غرايس بعاطفة واضحة في نبرة صوتها، ما دعا زوجها ليمد يده إلى ذراعها، كأنه يحاول أن يجعلها تصمت. وضعت غرايس فنجان القهوة على الطاولة، وهي تشعر بالجو المتوتر في الغرفة. استدارت نحو رافايل، وسألته: «ما الأمر؟ ما الذي تقوله؟».

حدق في عينيها، وأجاب: «تريد أن تعلم لِم لا تدفعين سعراً مناسباً لمناً للبن، ما دمت تحبين القهوة كثيراً كما تقولين؟».

بقيت غرايس صامتة للحظة، كأنها تحاول فهم ما قاله. أهذه هي المشكلة؟ هل يعتقد أنها لا تدفع ثمناً كافياً لشراء البن.

- نحن ندفع ثمناً عادلاً ومناسباً، لأننا نبيع بُناً عُضوياً، تنمو أشجاره في الظل. هذا أحد العوامل التي تجعل عملنا مميزاً، وتجعل نوعية الإنتاج ممتازة.

WWW.HAMSATKUTUBIA.COM

- لكن النوعية الممتازة مكلفة. أليس كذلك، غرايس؟ من الصعب أن تجني أرباحاً إن كنت تدفعين أكثر من دولار واحد للكيلو غرام؟

قطبت غرايس جبينها، وأجابت: «لكننا ندفع سعراً يفوق المعدل العام في السوق العالمية. يمكنك أن تتأكد من الأرقام».

تضاعف عبوسه، وبدأت عيناه تقذفان شرراً، وهو يقول: «تأكدت من الأرقام. لماذا تعتقدين أنني رفضت تمديد القرض الذي أعطيته لشركتك؟».

- لأنني لم أحقق لك أية أرباح، لأنني...

توقفت عن الكلام ما إن فهمت جيداً ما قاله، فتابعت: «أتقول لي إن قرارك عدم تمديد القرض مرتكز على السعر الذي ندفعه ثمناً للبن؟ إن كان هذا هو السبب، فأنت تقترف خطأ كبيراً. أنا أؤمن بدفع ثمن جيد للنوعية الجيدة».

- لكن لمن؟

حدقت به غرايس قائلة: «أنا لا أفهم ما الذي تقوله».

- خلال السنوات القليلة الماضية، عملت مقاهي برازيل على تخفيض الأسعار لدرجة أن الفازيندا بالكاد تستطيع متابعة العمل. من دون الإعانة المالية لهذه المزرعة، لن تتمكن من إنتاج أي شيء، وإن بقيت الحال على ما هي عليه، بالكاد يمكن تأمين حاجات العائلة.

حمل صوته ضيقاً وحدّة، وهو يتابع: «كاد أولادهما ينتقلون من هنا، كي يبحثوا عن عمل في مكان آخر. مع ما تدفعينه لهم، لا يستطيع كارلوس تأمين الطعام لأولاده وأحفاده. أنتِ الآن تنظرين إلى نتائج جشعك. هل تفهمين ما أقوله الآن؟».

جلست غرايس، جامدة من الصدمة. الجشع؟!

ما إن نظرت غرايس إلى وجه الزوجين المتعبين الجالسين أمامها، حتى شعرت بقلبها يدق بعنف في صدرها. هي لا تفهم ما الخطأ الذي

ارتكبته، لكن بدا بوضوح من خلال الكآبة التي علت ملامح وجه رافايل، أنه يصدق فعلاً أنها مذنبة بجرم تستحق عليه العقوبة. كما أن هؤلاء الناس يعتقدون ذلك. قالت بقوة، مؤكدة على الأشياء القليلة التي تعرفها من دون أي لبس: «نحن ندفع ثمناً باهظاً ثمناً للبُن، وهذا واحد من الأسباب التي دفعتنا لعدم جني الأرباح بسرعة من العمل».

- حسابات شركتك تثبت العكس.

استدار رافايل نحو فلومينا، التي أخذت بالتحدث من جديد، ثم تابع: «تقول إنهم لا يستطيعون بيع البن لك بالسعر الذي تدفعينه، وهم يبحثون عن زبون بديل».

- لا! يجب ألاّ تفعل ذلك. البُن مميزٌ فعلاً. أنا أعرف هذا، وكذلك الزبائن.

مالت إلى الأمام، ومدت يدها إلى المرأة في مبادرة متعاطفة، لكن هذه الأخيرة رفضت المواساة. إنها تريد المال، ومن الواضح أنها لا تستلمه. تركت غرايس يدها تسقط مجدداً في حضنها.

- من فضلك، قل لها إن هناك خطأً ما. أنا لا أعرف كل الحقائق بعد، لكنني سأفعل. أعدك! سأبحث عن السبب، وسأجد الخطأ، لكن اطلب منها ألا تتوقف عن تأمين ما نحتاجه من البُن.

قال رافايل بنبرةٍ محملة بالسخرية: «ستبحثين عن السبب! ماذا هناك لتبحثي عنه؟».

- أنت رأيت الحسابات، وتعلم أننا ندفع مبلغاً كبيراً من المال ثمناً للبن.

شعرت بيديها رطبتين من العرق، فحفتهما بسروالها، وتابعت: «هذا أحد الأسباب التي تجعل نفقاتنا غير المباشرة مرتفعة جداً».

- رأيت أنكِ تدفعين مبلغاً كبيراً من المال للوكيل الذي يشحن البُن لك.

WWW.LAMISATREWIVA.COM

حدقت به قائلة: «أتود أن تقول لي إن مالنا لا يصل إلى صاحب البن، وإن الوكيل الذي يتعامل معه والذي يبالغ في السعر، وإنه غير أمين ومخادع؟».

ابتسم رافايل ابتسامة باهتة، وأجاب: «آه! أنا لا أعتقد أن الوكيل هو الوحيد غير الأمين والمخادع هنا، فالمال الذي تدفعينه متضخم بشكلٍ كبيرٍ، وأغلى بكثير من سعر البُن في العالم كله. أنا متأكد أن هناك عدداً من المنتفعين، لكن هذه الفازيندا ليست واحدة منهم».

شعرت غرايس بجفاف في فمها. قالت متلعثمة: «أتعتقد أن لدينا نوعاً من الاتفاق الضمني مع الوكيل، وأنه يطلب ثمناً باهظاً لنتمكن في ما بعد من تقسيم المال بيننا؟».

- هذا ما تبدو عليه الأمور.

- هل تتهمني بالاختلاس؟

بدا غير متأثر مطلقاً بتوترها. قال بنبرة ناعمة كالحرير: «صحيح! هذا ما أفعله».

حدقت به، محاولةً أن تستجمع ما لديها من شجاعة لمواجهة فداحة اتهامه وقسوته: «ألم تفكر للحظة أنه قد يكون هناك تفسير آخر للأرقام؟».

- قدمي لي تفسيراً آخر.

عضت غرايس على شفتها، وأجابت: «لا أستطيع. ليس بعد... لكنني سأفعل».

- عندما تحظين بفرصةٍ لتختلقي واحداً؟

- بل عندما أعرف حقيقةَ ما يجري.

نظرت إليه بغضب، وأحست بالرعب يخترقها بالرغم من الغضب الشديد المسيطر عليها.

- ربما أنتِ مغرمة بالوكيل بشكل لا يصدق.

تركزت نظراته على عينيها، كأنه يوضح ما يفكر فيه. تذكيره لها بما حدث بينهما في الغابة، جعل الدم يتدفق بقوة إلى خديها، لكنها لم تجب. فتحت فمها لتدافع عن نفسها، ثم أغلقته من جديد. ما الغاية من ذلك؟ ما الغاية من إخباره أنها لا تتصرف مطلقاً على هذا النحو؟ على أي حال هو لن يصدقها، فقد تجاوبت مع عناقه بقوة وحرارة. قالت: «من الواضح أن أمراً خاطئاً يحدث، وأنا لا ألومك لأنك تعتقد أنني متورطة بالأمر، لأن كل الدلائل تدينني. أنا بحاجة إلى إجراء بعض الاتصالات الهاتفية. أنا بحاجة إلى بعض المعلومات».

تمتمت بالكلمات الأخيرة كأنها تتحدث مع نفسها، وهي تفكر بالخيارات المتاحة لها.

- لا تزعجي نفسك بإجراء الاتصالات الهاتفية، فعملك انتهى. لكن لا داعي لأن تقلقي. أنا متأكد أن بإمكانك أن تحققي مستوى معيشة مقبولٍ جداً إذا قررت احتراف التمثيل، فأنت مقنعةٌ جداً.

نهض رافايل على قدميه، ثم تابع: «علينا أن نعود قبل حلول الظلام. الشمس في الغابات الاستوائية تغيب بسرعةٍ قصوى».

إنها لا تخشى الظلام، ولا تهتم للمخاطر الكامنة في الغابات، لمخاوفها أكبر من ذلك وأكثر واقعيةً. خطأ ما حدث في عملها. إن كان رافايل على حق، فذلك يعني أن أحدهم يتلاعب بالحسابات، ليجني الأرباح من ورائها، ويضعها في مواجهة مع المتاعب. لكن كيف يمكنهم أن ينجوا بفعلتهم تلك؟ ومن هو المسؤول؟ هي ترغب في إيجاد أجوبة عن أسئلتها في أقرب فرصة، بعد أن تقنع رافايل كورديرو ببراءتها، إذا نجحت في ذلك. لكن هل يهمها حقاً ما الذي يفكر فيه بشأنها؟ ما يهمها حقاً أكثر من أي شيء هو هؤلاء الناس اللطفاء الكرماء، الذين يعتقدون أنها حقاً مذنبة. فكرت بيأس وهي تمحص في الوقائع التي عُرضت عليها، ربما هي مذنبة فعلاً بطريقة ما. صحيح،

WWW.HIMASATNEWAHA.COM

أنها لم تأخذ المال، لكن هذا عملها وهذه حساباتها، وهي لم تلاحظ أي شيء غير اعتيادي في سجلاتها.

شعرت بألم عميق لأن هذه العائلة تعاني الفقر بسببها. حاولت أن تفكر بما تستطيع القيام به لإصلاح الأمر. من دون أن تفكر، ركعت على ركبتيها ممسكة بيد فلومينا بين يديها.

- سأعرف ما الذي حدث، وسأعيد لك المال الذي ندين لك به.

تابعت كلامها بنبرة مليئة بالعاطفة: «عائلتك لن تعاني أبداً بعد اليوم».

أدارت رأسها، وقالت لرافايل بنبرة قاسية: «ترجم لها ما قلته».

قال وعيناه باردتان كالثلج: «أنا لا أؤمن بإعطاء أمل كاذب».

- ترجم لها ما قلته، أرجوك!

من الواضح أن العاطفة في نبرة صوتها أثرت فيه، لأنه تأملها للحظة طويلة، ثم رفع كتفيه قبل أن يبدأ بالتحدث مع المرأة باللغة البرتغالية. ترددت فلومينا قليلاً، ثم وضعت يدها الثانية على كتف غرايس، وهزت رأسها. قال رافايل بنبرة تحمل ضيقاً واضحاً: «أهذا ما تريدينه؟ أقنعتها أنك بريئة وصافية كالفجر. هل أنتِ سعيدة الآن؟ بالطبع! لماذا تتخلين عن شخص ما إن كنت قادرة على خداعه مرتين؟».

وقفت وهي تضغط بأظافرها بقوة على راحتيها.

- لا! أنا لست سعيدة. لست سعيدة لأنهم يتألمون ويعانون بسببي، ولست سعيدة لأن هناك من يستغل عملي ليحصل على ربح شخصي. نحن نتكلم عن حياتي هنا، فمقاهي برازيل تعني الكثير لي. نحن نعمل على مساعدة الناس... مساعدة الناس الذين يعانون.

تعرف غرايس الكثير عن الشعور بالمعاناة. بدت ابتسامة رافايل ساخرة، وهو يعلق: «أنا متأكد من ذلك. فأنت قديسة غرايس تاكر».

قطبت غرايس جبينها، وأجابت: «من الواضح أن أمراً خاطئاً

يجري، وفي هذه الظروف لا أستطيع أن ألومك لأنك تعتقد أنني متورطة، لكنني لست كذلك. من الواضح أنك لا تدرك كم أنا غاضبة».

أية صدمة مرعبة أصابتها! كل ما بنته انهار فجأة من حولها، وليس لديها أي جواب عما حدث. للحظة، شعرت بذلك الإحساس القديم من اليأس يلتف حولها. أرادت أن تتكور على نفسها، وتختبئ من الحياة. نظرت إلى ملامح فلومينا المجعدة القلقة، وسمعت صياح الأطفال في الخارج وصوت ضحكهم. لا فكرة لدى هؤلاء الأطفال أن مستقبلهم في خطر، لذا لا تستطيع أن تتكور لتبتعد من أمامهم، وليس هناك من مكانٍ تختبئ فيه. هناك أشخاص يعتمدون عليها. رفعت ذقنها، ونظرت مباشرة في عيني رافايل، ثم قالت: «أجد افتراضك أن لي علاقة بما حدث أمراً عدوانياً وكريهاً».

- أجد الاختلاس أمراً عدوانياً وكريهاً، لا سيما عندما يكون الضحايا من البرازيليين الأبرياء.

تنفست غرايس بعمق، وعلقت: «نظراً لما أخبرتني به، لديك الحق المطلق بأن تشعر بالغضب. أنا أفهم الآن لماذا رفضت أن تمدد فترة القرض المالي».

- جيد! لسنا بحاجة إذاً إلى تضييع المزيد من الوقت معاً.

- لا تقل هذا.

مدّت يدها، ووضعتها على ذراعه. أشارت الرسالة في عينيها إلى أن هذا أهم أمر يحدث لها في حياتها كلها.

- إذا سحبت القرض مني، لن أتمكن من تسوية الأمر، ولن أتمكن أيضاً من التعويض على هذه العائلة، وأنا أريد أن أفعل ذلك حقاً.

حدق بها رافايل من دون أي تعاطف، وقال: «أنا متأكد من ذلك. ليس من السهل أن تري قسماً كبيراً من دخلك يتبخر».

WWW.MASATEEN.COM

– أنا لا أهتم بمدخولي. الأمر لا يتعلق بمالي الخاص. لِم لا تصدق ذلك؟ إن حدث خطأ ما، فقد حدث بدون معرفتي.

التعابير التي ظهرت على ملامح وجهه بدت قاسية تماماً كنبرة صوته، وهو يقول: «أنت مديرة الشركة، ويمكنك الوصول إلى الحسابات. من المستحيل ألاّ تعرفي بما يجري».

حدقت غرايس به، وتضاعف رعبها، وكأن شيئاً ما قد لمع في ذهنها. أمن الممكن أن يحدث ذلك؟ لا! هذا مستحيل. لكن... لا يمكن أن يكون مستحيلاً بشكل مطلق. فجأة بدأت القطع الضائعة تتجمع بعضها مع بعض وكأنها أحجية، أما الصورة السوداء الضبابية التي بدأت تتشكل في رأسها فأشعرتها بالمرض. الأمور التي تعمد رافايل كورديرو قولها لها منذ وصولها عادت كلها إلى مخيلتها الآن. إنها أشياء لم تفهمها في ذلك الوقت؛ «لا أعلم كيف تتمكنين من النوم أثناء الليل».

بالفعل، كيف يمكنها أن تفعل ذلك؟ الآن فهمت عمّا كان يتحدث، لكنها لا تعلم من الذي قام بالاختلاس. أصيبت غرايس بالرعب، وشعرت فجأة بالرغبة في التفوه بالحقيقة، لكن الغضب الواضح على وجهه منعها من الكلام. فات الأوان على قول الحقيقة. لا داعي ليكون المرء عبقرياً ليفهم أنه يجدها مذنبة. بإمكانها أن ترى الغضب يشع في أعماق عينيه. فجأة شعرت بالندم والمرارة لأنها لم تكن صادقة معه منذ البداية. كان عليها أن تخبر فريق عمله عن كل ما يعيق عملها منذ البداية. لكنها لو أخبرتهم، لما حصلت على المال مطلقاً. اعتادت غرايس دائماً على تغطية عجزها، وعلى إيجاد طريقة ما لحل مشاكلها، تلك المشاكل التي كانت تتكتم عليها. مع ذلك، ما زالت غير قادرة على تصديق ما تواجهه. غير قادرة على تقبل ما يقوله. بحثت عن تفسيرات بديلة، لكنها لم تصل إلى أية نتيجة. ترنحت قليلاً، فشعرت

على الفور بيدين قويتين تمسكان بذراعيها. عمل رافايل على دفعها للجلوس من جديد على مقعدها.

قال لها بقسوة: «اجلسي، وحاولي السيطرة على نفسك! إن قمت بالاختلاس، فقد قمت بمخاطرة كبيرة، وتستحقين أن يُكشف أمرك. أعمالك أوصلت هؤلاء الناس الأبرياء إلى الخراب».

رطبت غرايس شفتيها الجافتين، محاولة بيأس أن تفكر بطريقةٍ سليمةٍ تحل بها هذه المشكلة وتعوض عليهم خسارتهم.

– نحن نشتري البن من شركة، وندفع لها بسخاء. من الواضح أنهم لا يعطون المنتج حقه، ولا بد أنهم يفعلون شيئاً ما بالمال. لربما هم يقتسمونه مع شخص ما في شركتي.

ابتسم رافايل ابتسامة ترشح بالازدراء، وعلق: «أتساءل من هو... أليس المالك برأيك؟».

هزت غرايس رأسها، وهي تشعر بالخدر من شدة الصدمة.

– لا! لست أنا.

من هو المختلس إذاً؟ إنها بحاجة إلى مراجعة ملفات الشركة وحساباتها في أدق تفاصيلها، لكن بمن تستطيع أن تثق؟ كادت تضحك من سخرية الوضع. إن الرجل الوحيد الذي يملك المهارة ليساعدها، هو نفسه من يراقبها بغضب وكراهية. لا! لا يمكنها أن تسأل رافايل كورديرو المساعدة، كما أنها لا تستطيع أن تلقي اللوم عليه لأنه لا يوافق على تمديد القرض. انتهى الأمر... ستعود إلى ديارها. ستعود إلى إنكلترا، وبطريقةٍ ما ستكتشف الأجوبة التي تحتاج إليها. بعد ذلك ستبحث عن مورد مادي آخر، لتتمكن من إنقاذ شركتها.

WWW.HAMAREWAHA.COM

٤ - أين المفر؟

خيم التوتر طوال الطريق أثناء عودتهما إلى المنزل. بدا الجو خانقاً والهواء ثقيلاً بعد تلك المصارحة التي حصلت في الفازيندا.

قال رافايل لنفسه: لا تبدو النساء على ما يرام إذا تم اكتشاف أمرهنّ، وغرايس تاكر تم اكتشاف أمرها بشكل قوي لا مجال لإخفائه. بدا اختلاسها واضحاً للعيان، ورُميت نتائج أعمالها في وجهها. صدمتها الواضحة وإقرارها بالذنب كادا يجعلانه يفكر في مواساتها بكلمات تشعرها بالدعم والارتياح. حتى إنه استعاد الوقائع في رأسه من جديد للتأكد من أنه غير مخطئ بحقها. ليس هناك من وسيلة لتبرئتها. هي قادرة على الاطلاع على الحسابات، بالإضافة إلى أن الشخص المسؤول عن الموارد المالية في الشركة هو والدها. من الواضح أنه عمل عائلي.

نظر رافايل وراءه، وتفاجأ برؤية غرايس خلفه تماماً. بالرغم من بنيتها الرقيقة ووزنها الخفيف، إنها تتبعه كظله. رأى التأثر واضحاً في عينيها، ففي النهاية، تم كشف مخططها بالاحتيال لجني المال. لا شك لديه أن عرضها المقنع في الفازيندا تم من أجل فلومينا وكارلوس، فلماذا تأثر هو أيضاً؟ هو يعلم أكثر من أي شخص آخر إلى أي مدى قد تصل المرأة عندما تجد نفسها في وضع صعب، كما يعلم إلى أي مستوى قد تنحدر لتخرج نفسها من حياة الفقر إلى الثراء. عمل غرايس تاكر شارف على الانتهاء، وعلى الرغم من طلبها الذي يحرك

العواطف، لا رغبة لديه أبداً في رمي حبل النجاة لها.

ما إن وصلا إلى مسكنه، حتى عمل على طلب الطائرة المروحية لتقلها غداً صباحاً إلى ريو دي جنيرو، هكذا ستتمكن من الالتحاق بالطائرة المتوجهة إلى لندن. استدار رافايل نحوها قائلاً: «أمامك ساعتان قبل موعد العشاء. أظن أنك بحاجة إلى الراحة».

لم يبدُ أنها سمعته، لذا أعاد على مسمعها ما قاله. هذه المرة نظرت إليه غرايس بصدمة واضحة، وكأنها نسيت وجوده. رمشت بعينيها لتجبر نفسها على التركيز، ثم قالت: «آسفة! أجل... شكراً لك».

وجد نفسه يحدق ببشرتها الشاحبة وبالظلال تحت عينيها. بدت مصعوقة ومرهقة حتى العمق. قطب رافايل جبينه. لقد سارا لأميال في أوضاع صعبة تثير التحدي، مع ذلك لم تتذمر مطلقاً.

- أنت بحاجة إلى الاستحمام والراحة.

تساءل لماذا يزعج نفسه بإظهار مثل هذه العناية المفرطة، ولا بد أنها تساءلت عن ذلك أيضاً، لأنها حدقت به بعينين واسعتين.

- أنا آسفة لإزعاجك بالبقاء هنا ليلة أخرى.

ها قد عادت لتظهر كطفلة مهذبة تغادر حفلة ما. وجد رافايل نفسه يتمنى لو أنها تواجهه بتلك الروح المقاتلة التي اعتاد عليها خلال مسيرتهما في الغابة. فكر أن هذه المرأة هي مجموعة من التناقضات، ومن المستحيل أن تُفهم، فهي مزيج غريب من المرح والحزم، البراءة والأنوثة التي يبدو أنها لا تدركها. هي لا تمازحه ولا تتودد إليه، مع ذلك، فكل حركة في جسدها تجعله يشعر بالانجذاب نحوها.

انقضت مجموعة من الطيور على المسكن، بدت أشبه بقوس قزح بألوانها الرائعة، لكن هذه المرة لم يجذب تحليقها وتغريدها انتباه غرايس، ولم تصدر عنها أية شهقة تعبر عن الفرح. في الواقع، بدا أنها لم تلاحظها. وكأنها تعيش صدمة كبيرة.

WWW.HMARABIYA.COM

- سألقاك وقت العشاء.

حتى تلك اللحظة لم تكن لديه أية رغبة في تناول العشاء معها. ظهور الدهشة في عينيها أعلمه أنها فوجئت مثله تماماً بدعوته. لماذا يريد أن يمضي أمسية أخرى معها؟ لِم لا يسير مبتعداً عنها، ويشعر بالارتياح لأن هذه المسألة القذرة انكشفت أخيراً؟ عند الصباح سوف تخرج غرايس من حياته كلياً، لكنه يعلم أن إبعادها عن أفكاره ليس بالأمر السهل. عندما عانقها في الغابة شعر بأكثر من مجرد لقاء بين شخصين بالغين. حتى الآن ما زال ذلك الانجذاب، يومض مثل طاقة غير مرئية، تجذبهما لبعضهما. لابد أنها شعرت بذلك أيضاً، لأنها تراجعت إلى الوراء بتوتر، وهي تقول: «ربما علي تناول العشاء في غرفتي، لكنني سأكون ممتنة لو سمحت لي باستخدام الهاتف. بالطبع، سأدفع ثمن المخابرة».

أراد أن يسألها، كيف ستدفعين؟ لكنه منع نفسه عن قول ذلك لمعرفته بوضعها المادي. علق قائلاً: «هناك هاتف في غرفتك. استخدميه، لكنك ستتناولين العشاء معي».

لم تجادله غرايس. بدت مهزومة ومستسلمة، لكنه تساءل إن كانت فقط متعبة ولا قدرة لها على الجدال. وضع يده على مؤخرة عنقه، ليمنع نفسه من مدها ووضعها على ذراعها. إن كان إحساسها بالذنب والندم كبيراً، فهذا يعني أنها لن تقدم على عمل مماثل من جديد.

* * *

رمت غرايس سماعة الهاتف من يدها، وتراجعت إلى الوراء على السرير. لاشيء... ولا أحد...!

لم يجب والدها على اتصالها، وكذلك المدير الذي عينته لمساعدتها على توسيع خطة عملها. حاولت أن تتصل بالوكيل، لكنها لم تحصل إلاّ على رسالة من المجيب الآلي. بدا واضحاً أنها لن

تحصل على أجوبة عن الأسئلة الصعبة التي تشكلت في رأسها بسهولة، وهي على بعد آلاف الأميال في الغابات الاستوائية. إنها بحاجة إلى العودة سريعاً إلى لندن، وملاحقة الشخص الذي كان يقوم بالاختلاس بمنتهى الذكاء من شركتها. لكنها لا تزال في الأدغال، وما زالت أمامها أمسية كاملة تمضيها مع رجل لديه كل الأسباب ليعتقد أنها جزء من عمل مشين ورديء. لا يمكنها أن تلومه لعدم موافقته على تمديد مدة القرض، مع كل الوقائع الواضحة بين يديه. لكن هذا الأمر لن يساعد عملها. كل ما عملت على بنائه خلال الفترة السابقة سيتحلل ويتحول إلى غبار. سيفقد الكثيرون عملهم، بسبب الأخطاء التي اقترفتها. كان عليها أن تعلم... أن تلاحظ، إلاّ أنه ليس هناك من وسيلة تمكنها من ملاحظة ما يجري. هي تعرف ذلك جيداً. هل عليها أن تخبر رافايل بالحقيقة؟ ما الغاية من ذلك؟ فات الأوان على التفسير.

أرادت غرايس أن تبكي، لكن دموعها خانتها. استلقت وهي تشعر بالخدر. حدقت بالسقف وحاولت أن تفكر بما ستقوم به الآن، لكن البقاء بلا حركة بدا مستحيلاً. شعرت بالغضب والارتباك، بالضياع والخوف، لكن أكثر ما شعرت به هو حاجتها إلى الأجوبة. هي تريد أن تعلم من فعل هذا بها. هي غير قادرة على الاستلقاء وأخذ قسط من الراحة، فيما حياتها تنهار أمامها. قفزت عن السرير، وبدأت بالتجول في الغرفة، وهي تصغي إلى أصوات الطيور والقرود في أعالي الأشجار. فجأة شعرت بحاجة ماسة لتعود إلى الغابة الدائمة الاخضرار، بعيداً عن حياة المدينة والفساد. تذكرت ما قالته ماريا عن بركة السباحة. ألا يقال إن المجهود الجسدي جيد للتخلص من التوتر؟ حسناً! ستذهب للسباحة، علّها تهدأ إلى درجة كافية كي تتمكن من إجراء نقاش عادي مع رافايل كورديرو أثناء العشاء.

ارتدت ثوب السباحة الأحمر، وارتدت فوقه فستانها الكتاني

WWW.HAMSATRIWAYAT.COM

الناعم. ذكرت نفسها بأن تكون حذرة بشأنه، لأن هذا كل ما لديها لترتديه أثناء العشاء. أخذت منشفة من غرفة الحمام، وانتعلت حذاءها. كتبت شيئاً ما على يديها، ونزلت الدرج. تجولت في أرجاء المسكن بحثاً عن ماريا، فوجدت مدبرة المنزل في المطبخ، تقطع أنواعاً مختلفة من الخضار النادرة. توقفت المرأة عن العمل حين رأتها. طلبت غرايس من ماريا أن تذكرها بالطريق الذي يقودها نحو البركة. قادتها ماريا عبر ممر زجاجي، لتصل إلى الغابة عبر ممر آخر بعيد عن ذلك الذي اجتازته مع رافايل أثناء ذهابهما إلى الفازيندا.

تلفتت غرايس يمنة ويسرة، فامتزج شعورها بالفرح مع الذعر. إنها أكثر المناطق البرية روعة على الإطلاق. شعرت كأنها تتجول في حديقة عملاقة، فالأوراق كبيرة جداً، وهناك نباتات متسلقة تلتف على جذوع الأشجار، أما السحلبيات ونباتات الخنشار فتتجمع حول الأغصان. جذبت انتباهها حركة سريعة، فوقفت مكانها تراقب ضفدعة ملونة صغيرة تتمسك بجذع شجرة، ثم سمعت صوتاً عالياً فوق رأسها، ورأت طائراً يتنقل بين الأشجار، لفتها لون ريشه الأحمر المتموج. قررت أن تتخذ من حياة الطيور البرية وتميزها موضوعاً للتحدث أثناء العشاء. ركزت بعد ذلك على الطريق. لاحظت أنهما تنعطفان عن الممر الرئيسي، لتسيرا عبر ممر ضيق. راحت النباتات وأغصان الأشجار تحف بذراعيها وساقيها، كما أصبحت أصداء الأصوات والضجة أقوى كلما اقتربتا أكثر من المكان. نظرت غرايس من وراء كتفها، وحاولت أن تحفظ طريق العودة إلى المسكن.

بعد ذلك بدا كأن الأشجار تنفتح على باحة حيث يتسع الممر، وهناك وجدت البحيرة. حبست غرايس أنفاسها من شدة إعجابها وفرحها. رأت شلالاً أبيض من المياه ينسكب فوق الصخور، ليصل إلى بركة واسعة تحيط بها حواجز عالية من نباتات الخنشار والأشجار

العالية. عكست مياه البحيرة الضوء، وكأن ملايين الجواهر النادرة تكمن في أعماقها.

نظرت غرايس حولها قائلة: «إنها رائعة الجمال».

هزت ماريا رأسها موافقة، وعلقت: «إنها آمنة أيضاً، لكن ليس أثناء الليل. كوني حذرة أثناء عودتك إلى المسكن، فمن السهل جداً أن تسيري عبر الممر الخطأ. استديري إلى اليسار ثم إلى اليمين».

حدقت غرايس بالبحيرة. السير عبر الأدغال، والصدمة التي أصابتها بشأن عملها جعلاها مرهقة وحزينة. لا بد أنها ستشعر بالراحة إن سبحت قليلاً، لتبرد جسمها وترتاح. بعدئذٍ، ربما ستتمكن من التعامل مع ضغوطات العشاء المتوقعة.

قطع رافايل الممر بخطى سريعة وثابتة متجهاً نحو البحيرة. قاطعت ماريا اتصالاته الهاتفية، لتخبره أن غرايس ذهبت للسباحة، فشعر على الفور بموجة من التوتر تسيطر عليه، لأنها اختارت هذا الوقت بالذات للتجول في الأدغال. مكتبه في نيويورك يجري مفاوضات بشأن صفقة معقدة، وهم يطلبون رأيه وتوجيهاته. بالطبع! يمكنه أن يتركها وشأنها. الحيوانات البرية لا تقصد تلك البحيرة، لكنه مع ذلك أسرع الخطى، ملاحظاً وهو ينظر إلى الأعلى أن الظلام سيحل قريباً.

ما إن وصل إلى المنعطف، حتى سمع صوت سقوط في الماء، فسار عبر نباتات الخنشار حتى رأى بريقاً للون أحمر رائع. بدت غرايس أشبه بمخلوقة من كوكب آخر. انزلقت في مياه البحيرة برشاقة، فيما انساب شعرها الأشقر وراءها في الماء. أحس رافايل بمشاعر قوية تجتاحه، فوضع يديه في جيبي سرواله، وأطلق شتيمة من تحت أنفاسه، مقاوماً بشدة رغبته في الانضمام إليها في البحيرة، لأنه يعلم أن الانضمام إليها سيضيف تعقيدات هو ليس بحاجة إليها.

WWW.HAMASATRIWAYAT.COM

ما يحتاجه رافايل هو علاقة عابرة لا تعقيدات فيها، لكن غرايس تريد كلمات مزيفة عن الحب والغرام. إنها ليست من نوع النساء اللواتي يسمحن للعلاقة ببساطة أن تكون سطحية. حتى الآن، هي تطفو على وجه الماء، وتبدو مستغرقة بالتفكير. بعدئذٍ فتحت عينيها، ورأته. سبحت نحوه، وسألته: «هل تأخرت على موعد العشاء؟ هل حان الوقت لأخرج من البحيرة؟».

أشعة الشمس الغاربة سكبت عليها لوناً نارياً متوهجاً، بينما التصقت حبيبات الماء على شعرها وكأنها حبوب صغيرة من الكريستال. شعر رافايل بشوق لا يمكن مقاومته، وعلى الفور عمل على إعادة تقويم قواعده الشخصية بشأن المرأة. إن كانت كثيرة الكلام، وتهتم أكثر من غيرها لكونه حذراً وصارماً، أين الضرر بذلك؟

- يحل الظلام بسرعة في الغابات، وتصبح الممرات أكثر تمويهاً. كما أن بعض الحيوانات تأتي لتشرب من البحيرة.

حتى هذه اللحظة، لم يعتقد أن باستطاعته أن يكون بهذه البساطة وقلة الذكاء. ما الذي يأمله؟ هل يأمل أن تقفز صارخة من البركة، وتلجأ إلى ذراعيه طالبة الحماية؟ حسناً! هذا ما يأمله في الواقع. تابع يقول متمهلاً وهو يحدق بها: «أنت لا تعرفين مطلقاً من يسكن البحيرة؛ السمك الصغير السام، والأفاعي الضخمة، والتماسيح».

لم تتأثر غرايس بما سمعته، بل تعمدت النظر إليه ببساطة.

- أليس هناك ما هو أكثر خطراً من ذلك؟

قالت ذلك بنبرة متعبة، فراوده انطباع غريب أنها ترحب بأي أمر خطر أو مميت قادر على إبعادها عن مشاكلها. بدت مسترسلة في الاستمتاع، وكأنها تعيش حلماً خاصاً بها. قطب جبينه، وعمل على إخافتها أكثر، قائلاً: «وأحياناً تأتي النمور المرقطة».

قاطعته قائلة: «أحب الهررة».

سألها بضيق: «ألن تخرجي من الماء؟».

ضحكت دون مرح، وأجابت: «لماذا؟ ألكي تتمكن من إخافتي وطهوي والتهامي؟».

- أنا لا أرغب بطهوك والتهامك.

- بل هذا ما تفعله، لكنني لا ألومك. من المحتمل أن أفعل مثلك تماماً لو كنت في وضع مماثل.

ضغط رافايل على أسنانه. ها هي تفعل ذلك من جديد. تتسلل نحو فكره، في حين أن المكان الوحيد الذي يريدها فيه هو بين ذراعيه. قال: «أنتِ لا تعرفين أي شيء عني».

سبحت على ظهرها على سطح الماء وهي مغمضة العينين، وقالت: «أنتَ تبقي نفسك بعيداً عن الجميع. أعتقد أنك تخاف أن يكتشف أحد ما أنك شخص جيد بالفعل. هذا سيحطم صورتك الخطرة الفاسدة».

- أنت كثيرة الكلام.

علت شفتيها ابتسامة: «أتعلم؟ لو أنك تتعلم ألاّ تحكم على المظاهر، فستصبح أكثر إنسانية».

ظهرت غمازتها من جديد على الجهة اليسرى من وجهها. حدق بها رافايل مندهشاً. بعد ذلك قرر أن الحديث بينهما طال بما يكفي.

- ألن تخرجي من الماء؟

خرجت غرايس من البحيرة، وأبعدت شعرها عن وجهها. مدت يدها إلى المنشفة، وسألته: «هل كنت تحاول إخافتي بالتحدث عن تلك الحيوانات، رافايل؟ إن كان الأمر كذلك فأنت تضيع وقتك».

بالطبع! لقد تجولت عبر الأدغال، وسقطت في النهر، ورأت حشرات بحجم يدها، مع ذلك لم تتذمر.

- عليك أن تبقي حذرة ويقظة في الغابات الاستوائية. فهناك الكثير من المخاطر.

WWW.MASATREVIEW.COM

- كما في عالم الأعمال.

تابعت بسخرية، وهي تجفف أطرافها بالمنشفة: «توقف عن الحذر للحظة، وستجد من ينتظرك، ليبتلعك على الفور ملتهماً كل أحلامك».

وجد رافايل نفسه يراقب كل حركة تقوم بها. حركة ذراعيها الناعمة الرشيقة أشبه بحركات راقصة، أما ثوب السباحة الأحمر فملتصق بجسدها كأنه جزء منه. بدت كأنها مخلوقة قادمة من الأدغال؛ جميلة ونادرة تماماً مثل كل ما يحيط بها. ربما اعتقد أنها ارتاحت وأصبحت بلا هموم، لكنه يرى بوضوح الظلال تحت عينيها.

- هل أجريت اتصالاتك.

بقيت ابتسامتها مشرقة وهي تضع المنشفة حول كتفيها، وتجيب: «يبدو أن لا أحد يجيب عندما يتعلق الأمر بالاختلاس. وجودي في الأدغال يعطيني درساً أنا بحاجة إليه في التعامل مع المفترسين».

سمع في نبرة صوتها سخرية نابعة من أعماقها، وهذا ما لم يفهمه. انزعج من تصرفها وتمنى لو أنها تعترف بذنبها. تأوه رافايل في سره، قبل أن يسألها: «مع من كنت ترغبين في التحدث؟».

- مع أي شخص، في الواقع.

انتعلت غرايس حذاءها، وتابعت: «أبي، مساعدي، العميل الذي يبيعنا البن... لكن بدا كأنهم تبخروا جميعاً. ربما يمكنك القول إن الجرذان تغادر السفينة الغارقة».

حدقت في الأشجار أمامها، ولمح رافايل آثاراً لدموع في عينيها، لكنها استدارت لتنظر إليه، وتبتسم قائلة: «هذه غلطتي، لأنني شديدة الوثوق بالآخرين».

حدق بها بغضب، متسائلاً إن كانت فعلاً تعتقد أنه يصدق أياً من أعذارها الواهية. لم يصدق للحظة واحدة أنها حاولت الاتصال بأحد ما. لماذا تفعل ذلك، في حين أنها تملك كل الأجوبة؟ فجأة، لم يعد

يهتم إن كانت بريئة أم مذنبة. كل ما في الأمر أنه يريد معانقتها، وكل ما تبقى لا أهمية له. أراد إعطاءها الفرصة لتتوقف عن التمثيل، فقال: «لن نتحدث عن ذلك مجدداً».

- أنت على حق. لم تعد المشكلة مشكلتك.

قال رافايل بنبرة ناعمة كالمخمل: «انسي عملك، وتابعي حياتك. قومي بأي عمل آخر».

- آه، لا! لا يمكنني أن أفعل ذلك، فهناك أشخاص كثر يعتمدون علي. إن استسلمت، فإنهم سيتأثرون أيضاً.

مالت برأسها إلى الجانب وهزته قليلاً، تاركة شعرها يتساقط على كتفها، ثم لفته، لتعصر منه الماء بيديها. تابعت: «لن أتخلى عن عملي. سأجد المذنب، وأحاول استعادة المال. بعد ذلك سأتقدم بطلب لقرض جديد، وأدفع لكارلوس وفلومينا وأتابع العمل».

شعر بالضيق لأنها لا تزال تحاول إلقاء اللوم على غيرها، كما أنه شعر بالملل من التحدث فقط عن المقاهي والقهوة، في حين أن ما يريده فعلاً هو أن يجذبها إليه ويعانقها من جديد. قرر رافايل أن هناك طريقة واحدة لتحويل النقاش بينهما إلى ما يرضي اهتمامه. قال بنعومة: «سأمدد فترة القرض. بهذه الطريقة يمكنك متابعة التسلية في المقاهي بقدر ما تشائين».

حدقت غرايس به للحظة، ثم هزت رأسها قائلة: «لا! لكن شكراً لك. إنه عرض كريم جداً».

فكر رافايل وهو يضغط على أسنانه: هذا ليس كرماً. إنه عمل بمنتهى الأنانية. هو يريد أن يبعد أفكارها عن عملها اللعين، لتفكر بشيء أكثر أهمية له. جالت عيناه على وجهها، ثم قال: «هذا مالي، وقرار تبديده خيار خاص بي».

أجابت غرايس بنعومة: «ورفضه أمر يخصني، فأنا لا أريد مالك.

WWW.LIMASATREWAIYA.COM

في مثل هذه الظروف، أخذ المال منك ليس عملاً صالحاً».

- في هذه الحالة، ما رأيك أن نتخلى عن التحدث عن الموضوع برمته.

وقطب جبينه متابعاً: «سيحل الظلام في غضون عشر دقائق. علينا العودة. أنت بحاجة إلى بعض الوقت لتبدلي ثيابك قبل العشاء».

قالت وهي تنحني لتلتقط ثوبها الذي وضعته على الصخرة: «آه! لابد أنني رششته بالماء وأنا أسبح».

حدق رافايل بها، كأنه لم يفهم ما الذي تقوله: «ماذا؟».

هزت الثوب بيديها، وتنهدت قائلة: «هذا كل ما لدي لأرتديه هنا، سروالي الرياضي رطب وملطخ بالوحل، وهذا أيضاً رطب وملطخ. علي أن أرتدي بذلتي».

أمسك رافايل بذراعها، ودفعها عبر الممر قائلاً: «ستجد لك ماريا ثوباً. الآن تحركي، وإلا فستجدين نفسك عشاء لمخلوق ما هنا».

* * *

جلست غرايس على حافة سريرها. عليها التوقف عن القلق، وارتداء ثيابها لتذهب لتناول العشاء. هل أخطأت برفض عرضه تقديم المساعدة المالية لها؟ من الجيد طبعاً أن يملك المرء مستوى عالياً من الأخلاق، لكن الأخلاق والقيم ستسبب لعدد كبير من الناس خسارة أعمالهم ومورد رزقهم. حاولت الخروج من حالة القلق المسيطرة عليها، وحدقت بالفستان الذي أحضرته لها ماريا منذ دقائق قليلة. إنه يشع ويتألق، مغيراً ألوانه مع الضوء. في لحظة يبدو فضي اللون، وفي اللحظة التالية ذا لون فيروزي. إنه ببساطة، أجمل وأغلى ثوب رأته في حياتها. إنه فستان صمم ليجعل من امرأة عادية نجمة أفلام.

ستنسى همومها لهذه الليلة. قالت ذلك لنفسها، وهي تنتعل حذاءها ذا الكعب العالي، ثم التقطت حقيبتها الصغيرة. في هذه الليلة الوحيدة

في الأدغال ستكون مثل النساء اللواتي يرتدين هذا النوع من الثياب. على الرغم من تأكيدات رافايل كورديرو هي تعلم أن لا مجال مطلقاً لحل مشاكلها هذه الليلة. غداً ستتعايش مع الواقع المرير... غداً ستعود إلى لندن، وستلاحق الأشخاص الذين يتجنبونها، وستفهم بالتحديد ما الذي حدث لعملها ولحياتها.

ما إن وصلت غرايس إلى الشرفة، حتى وجدت رافايل جالساً إلى الطاولة. كان يرتدي قميصاً زرقاء اللون مفتوحة عند العنق، تظهر ما يكفي من بشرته البرونزية. نظرت إلى وجهه الوسيم، وشعرت بقلبها يدق بجنون في صدرها. ما سر تأثيره الطاغي عليها؟ إنها لا تعرف السبب ولا تفهمه، لكنها تعلم أنه مهما كان الأمر الذي أخافه في الماضي، ومهما كانت تجاربه سيئة، فهي لا تريده أن يفكر بأنها مذنبة وقد اقترفت جريمة اختلاس. قالت باندفاع ما إن جلست على الكرسي: «لابد أنك تعتقد أنني رديئة جداً، لأنني أخذت المال من هؤلاء الناس. أعلم أنني أبدو مذنبة، لأنها شركتي. لكنني أريدك أن تعرف أنني لا أعلم شيئاً عن الموضوع. أنا بحاجة لأن تصدقني».

بقي رافايل جامداً، وعيناه تحدقان بوجهها. ذكرها بأحد المخلوقات المفترسة في الغابة. إنه يراقب، وينتظر اللحظة المناسبة لينقض على فريسته. قال بصوت مثير ناعم: «أصدقك».

شعرت غرايس كأن صوته ينساب إلى أعصابها المرهقة مثل العسل الشافي:

- أحقاً؟.

لم يكن هذا هو الجواب الذي تتوقعه، لذا لم تستطع أن تخفي دهشتها وارتياحها: «أتعني ذلك حقاً؟ ما زلت لا أعلم من هو المسؤول، لكنني سأعرف وسأغير الأمور. كما أنني سأحكم السيطرة على الحسابات. كان علي أن ألاحظ الأمر، أعرف ذلك، لكن...».

WWW.LIILAS-ATREWRITER.COM

أرادت بشدة أن تخبره الحقيقة، لكنها لم ترغب في أن تبدو كأنها تخلق الأعذار لنفسها.

- عندما تتورطين في العمل يوماً بعد يوم، من السهل جداً أن تفقدي السيطرة على الأرقام.

أكمل رافايل جملتها، وبدت عيناه السوداوان مليئتين بالحرارة والتعاطف، وهذا ما أدهشها: «صحيح».

ليس هذا ما حدث بالتحديد، لكن يبدو أنه يتفهم الأمر، وهذا أمر مريح جداً لها. ما زالت تجهل ما الذي جعله ساخراً هكذا ومشككاً بدوافع الناس، لكنها شعرت بارتياح لا يوصف، لأنه على الأقل لا يلقي عليها اللوم. من الواضح أنه أخذ وقتاً كافياً ليفكر بما أخبرته به، وها هو الآن يراقبها بنظرات ناعسة هادئة. اعترفت قائلة: «كان علي أن أكون أكثر حذراً، لكنني أشعر بالارتياح لأنك لا تعتقد أنني مذنبة بتهمة الاختلاس».

- أعتقد أن علينا الآن وضع تلك الأحداث وراءنا.

بدت نبرة صوته دافئة، فتذكرت عناقهما الحار الملتهب. شعرت كأن جسدها ينبض بالحياة. لماذا تفكر بذلك العناق؟ عليها أن تقلق على عملها وأن تفكر بالمستقبل، بدلاً من ذلك ظل عقلها منشغلاً بذكريات عناقهما العاطفي الحار في الغابة الرطبة. حياتها الآن في فوضى كاملة، وعلى عقلها أن يكون منشغلاً بالأرقام وبإيجاد الحلول لمشاكلها. هزت رأسها محاولة أن تفكر بصفاء. لا جدوى من الإنغماس في أفكار خيالية سخيفة، فرافايل ليس بالرجل المناسب لها، وذلك الشغف الذي حصل في الغابة لن يغير تلك الحقيقة.

- علي أن أشكرك على الفستان. إنه جميل.

أبقت نبرة صوتها ناعمة، وابتسمت لماريا وهي تضع كوباً من العصير أمامها، قبل أن تتابع: «يبدو بوضوح أن صاحبة الفستان ذات

مقاس أصغر من مقاسي».

- إنه يبدو أجمل عليك.

رفع كوبه باتجاهها، ثم ابتسم لها ابتسامة إعجاب واستحسان متابعاً: «أجمل حقاً».

عدم اهتمامه بذكر صاحبة الفستان جزء من شخصيته، مع ذلك ضجت الأسئلة في رأسها، فعضت غرايس على شفتها كي لا تتلفظ بها. لمن هذا الفستان؟ هل أحببتها؟ هل سببت لها الأذى؟ هل كنت تنظر إليها تماماً كما تنظر إلي الآن؟ قالت: «لا أستطيع التخيل أن أي امرأة قادرة على المغادرة من دونه. إنه من الفساتين التي تجعل الفتاة تشعر أنها جميلة».

- صاحبته كانت على عجلة من أمرها لترحل. أتذكر أن حياة الأدغال لم تناسبها.

بقيت نبرة صوته ناعمة، ولم تبح بأي شيء عن أحاسيسه أو عواطفه، لكنها علمت أن المشكلة لا تتعلق بالحياة في الأدغال، بل بالحياة مع رافايل كورديرو. من الواضح أن الفتاة غادرت دون أن تهتم بجمع حاجاتها. مع معرفتها لذلك، لماذا لا تزال جالسة مكانها، سامحة للجو أن يدفعها لمزيد من الانغماس معه؟ لماذا تسمح له بجذبها إلى حميمية نظراته؟ أين احترامها لذاتها؟ أترغب بحياة كاملة من الألم من أجل لحظة من السعادة؟

أبعدت تلك الأسئلة عن ذهنها، وقالت بنبرة مضطربة، وهي تبتسم بخجل: «أنت رجل معقد جداً، رافايل».

رفعت كوبها لترطب شفتيها، قبل أن تتابع: «أنتَ بارد وشديد الاهتمام في الوقت نفسه، وأنت تدعي أنك لا تحب الناس، مع ذلك أنت لطيف. أنا أعلم ذلك».

- لا تجعلي مني رجلاً رقيقاً يحسن معاملة الآخرين، غرايس!

WWW.HMASAREWAYA.COM JEWELRY

سمعت تحذيراً في صوته، فابتسمت للصورة التي شكلها بكلماته لأنها بعيدة جداً عن الحقيقة.

بقيت عيناه مسمرتين عليها، وهذا ما أربكها. قالت: «لكنك تعامل كارلوس وفلومينا بلطف واحترام. من الواضح أنك تهتم لأمرهما، وإلا لما كنت غاضباً جداً مني بسببهما».

ظهرت السخرية بوضوح في عينيه وهو يعلق: «أنا قديس، وأنا متأكد أنكِ سمعت عني».

- أنا لا أصغي إلى الشرثرات، وأفضل أن أحكم على الناس بنفسي.

- هل هناك امرأة لا تثرثر؟

رفع كوبه كأنه يشرب نخبها، وتابع: «هل أنت خائنة لبنات جنسك، غرايس؟».

- لا، لكنني أعلم أن المظاهر قد تكون خادعة. الناس يحكمون من خلال تجاربهم الخاصة، وهذا ما فعلته معي. أنت مقتنع أن الخداع والكذب موجودان في جينات المرأة، لكنك لم تولد بهذه القناعات. من هي المرأة التي جعلتك تفكر هكذا، رافايل؟

تمعن بها للحظات طويلة، وجالت عيناه عليها وهو يفكر بسؤالها: «ربما تكونين خالية من جينات الكذب والخداع، لكنك كما يبدو أخذتِ أكثر من حصتك في التحليل. لماذا تريدين أن تعرفي عني، غرايس؟».

- لأنني أريد مساعدتك.

ابتسم رافايل بسخرية معلقاً:

«وهل أبدو بحاجة إلى المساعدة؟».

تراجع إلى الوراء على كرسيه، ونظر حوله، ففهمت غرايس الرسالة. نعم، إنهما في الأدغال، لكن هذا لم يمنعه للحظة واحدة من

التمتع بالرفاهية في منزله، أو من إظهار ثرائه الفاحش بوضوح.

لم أكن أتحدث عن المال. من الواضح أنك لست بحاجة إلى المال.

- إذاً ما الذي أحتاجه، غرايس؟

حملت نبرة صوته الناعمة خطراً، كما أن عينيه حذرتاها كي تتخلى عن الموضوع. تلعثمت قبل أن تقول: «الحب. أنت بحاجة إلى الحب. أنا لا أصدق ما يقال عنك أو الصورة التي تظهرها للناس. رأيتُ كم أنت لطيف، وحين يتعلق الأمر بالبرازيل، تصبح شغوفاً جداً».

مال إلى الأمام، وحدق بها مجيباً: «لن أجادلك بشأن الشغف. أنا مستعد لأظهر لك مدى شغفي. كما أنني أشعر بسعادة كبيرة عندما أسمح للنساء أن يظهرن اهتمامهن بي بأية طريقة يخترنها».

نظرت غرايس إلى حاجبيه المتفاخرين وإلى القساوة البادية على وجهه. هي تعلم أنه رجل جذاب، وأن النساء يلاحقنه باستمرار، لكن لا شيء أكثر من ذلك... لاشيء أكثر عمقاً. وهو لن يسمح لها بالنظر «خلسة» إلى داخل روحه. رافايل لا يسمح لأحد بالاقتراب من مشاعره لهذه الدرجة. لهذا اختارت أن تبدل الموضوع.

- هل تحضر الكثير من الأشخاص إلى هنا عادة؟

- هذا يتوقف على من يكونون، وعلى سبب زيارتهم. فالنشاطات هنا محدودة جداً.

ابتسم برقة، فشعرت غرايس بجسدها يتقد ناراً من جراء نظرته. تململت في كرسيها، قبل أن تمد يدها إلى كوبها: «هل أنتَ من قام ببناء المنزل؟».

المحافظة على النقاش أمر صعب جداً، لأن شعوراً غريباً يراودها أنه لا يسعى للتحدث معها على الإطلاق. هو ينظر إليها بطريقة توضح

WWW.LAMASATREMAHY.COM LEWERY

نواياه تجاهها، وتجعل كل ما تريده بالفعل هو أن تميل عبر الطاولة وتتوسله أن يعانقها، تماماً كما فعل في الغابة. لم تشعر مطلقاً بمثل هذا الإحساس من قبل مع أي شخص آخر، لا سيما مع شخص غير مناسب لها أبداً مثل رافايل كورديرو.

بقي يحدق بها وهو يجيب: «المنزل؟ أجل. أردت مكاناً خاصاً، من الصعب إيجاد مثيل له».

- هل لديك عائلة؟

- أنا لا أعطي مقابلات لأحد، غرايس. سواء كانوا زملاء أم صحافيين أم عشيقات.

تمهل بما فيه الكفاية وهو يلفظ الكلمة الأخيرة، فشعرت غرايس بقلبها يقفز في صدرها.

- لكنك لا تستطيع أن تعيش حياتك كلها دون أن تقيم علاقات مع الناس.

- لدي الكثير من العلاقات مع الناس.

رفع نظره ليحدق بعينيها، وتابع: «هذا إذا كانوا يملكون ما يثير اهتمامي».

هو يعني أي شخص يجني منه المال، أو أية امرأة تشاركه سريره. هذا ما يعنيه. أليس كذلك؟ هل يحاول أن يسبب لها صدمة ما، أم أنه يقدم لها عرضاً مغرياً؟ شعرت غرايس بألم يجتاحها من الداخل، لكنها تمكنت من القول: «لابد أنه لأمر رائع أن تتمكن من الهرب. لكنك لا تتوقف عن العمل، حتى وأنت هنا بعيداً عن المدينة... عن المكاتب والأضواء».

رفع حاجبيه مستغرباً، فاعترفت بسرعة: «لم أستطع النوم جيداً البارحة، فوقفت أنظر إلى الخارج من النافذة. عندئذٍ رأيتك، تعمل على جهاز الكومبيوتر، وتتحدث عبر الهاتف».

- لدي أعمال علي القيام بها.

الإيجاز البارد في جملته لم يقنعها، وشعرت به يحاول الانسحاب. شيء ما تبدل في الحال. أحست بذلك على الفور. إنها متأكدة أن هناك ما يعذبه. أدركت أن السهر ليلاً لا علاقة له بالعمل بل بمخاوفه وأحزانه. من الذي غيّر نظرته للحياة؟ أهي زوجته، أم أن الأمر أبعد من ذلك؟ شعرت غرايس بموجة من التعاطف لم تستطع فهمها. سيطرت عليها بقوة الرغبة في المساعدة بطريقة ما، لتخفف عنه وتشفي جراحه. تمتمت: «ساعات الليل هي الأسوأ دائماً. إن كانت هناك مشكلة ما، فإنها تتضخم خلال الليل».

- هل تقولين إنك قادرة على إلهائي؟

غابت المخاوف من عينيه، وحلّ فيهما لمعان ماكر. لمعان خطير يتراقص ويغويها. للحظة لم تستطع أن تتنفس.

- أنا لا أعرفك.

قالت ذلك لنفسها وله على السواء. راقبها كأنه يقرأ أفكارها: «أنت تعرفين ما أنتِ بحاجة إلى معرفته».

بالطبع! إنها تعلم كل شيء أرادها رافايل أن تعلمه. بالنسبة لها هذا ليس كافياً، فهي تريد المزيد. تريد أن تعرف كل شيء يمكن معرفته عنه. هذا ما تشعر به فعلاً. كيف يمكن لذلك أن يحدث في يومين فقط؟ كيف أصبحت تهتم لهذا الرجل؟ آه، أجل، إنها تهتم.

- أنت رجل يصعب فهمك، رافايل!

- لا أريدك أن تفهميني، غرايس!

ابتسم لها، ورأت شيئاً ما في تلك الابتسامة المربكة، التي منعتها من التفكير بوضوح. هذه ليست الابتسامة التي يتبادلها الأصدقاء أو المعارف بل هي ابتسامة عاشق... ابتسامة تقول: «أعرف بما تفكرين».

WWW.HAMSATREWAYA.COM
HAMSA JEWELRY

تمنت حقاً ألاّ يعرف، لأن أفكارها سببت لها صدمة. شعرت غرايس بعناقه وكأنه يحصل الآن... فتحركت في كرسيها. النظرة الضيقة في عينيه أخبرتها أنه لاحظ حركتها، وفهمها. مال رافايل إلى الأمام، وأمسك بيدها. مرر أصابعه بين أصابعها قائلاً: «إنه مؤلم، أليس كذلك؟ هذا الانجذاب القوي بيننا».

تنفست غرايس بعمق، مقررة التخلي عن تناول الطعام. هذا الجو المتوتر بينهما أحست به في معدتها، لذا هي لا تستطيع تقبل أي طعام. قالت: «لا أفهم ماذا تقصد؟».

- أحقاً؟

قلب يدها ولامس راحتها بإبهامه، فضاعف الضغط اللطيف من التوتر في أعماقها. رفعت غرايس بصرها لتنظر إليه، وعلى الفور ندمت على قيامها بذلك. ما إن التقت نظراتهما، حتى لم تعد تقوى على إبعاد نظرها عنه. تلك النظرة احتجزتها، لكنها حاولت أن تسحب يدها. قالت: «لا تنظر إلي هكذا».

مال إلى الأمام، وشد على يدها بقوة. قال برقة: «لماذا؟ هل أنت خائفة؟ هذا ما تريدينه أيضاً».

لم يكن هناك أي تحفظ في كلامه، لكنها لم ترغب في المحاولة، بل قالت: «هذا الأمر مثير للسخرية».

بالرغم من تفوهها بالكلمات، إلاّ أن ما يجري بينهما بدا واضحاً، ولا يمكن مقاومته. لأول مرة في حياتها تكتشف أن هناك قوى لا يمكن مقاومتها أو إيقافها.

- بالأمس اعتقدت أنني كاذبة ومخادعة.

- بالأمس اعتقدت أنك جميلة وجذابة، وما زلت أعتقد هذا اليوم.

بدا صوته مؤثراً، ووجدت غرايس نفسها فجأة غير قادرة على التنفس.

- أنا سعيدة حقاً لأنك اقتنعت أنني لا أعرف شيئاً عن الاختلاس، لكن هذا لا يعني...

قاطعها رافايل متابعاً: «...أنك تتصرفين بتهور... وتتبعين حدسك فقط؟ لِم لا؟».

- لأن الحياة لا تسير على هذا النحو.

ضحكته الناعمة أظهرت أن جوابها لم يفاجئه. علق قائلاً: «حتى لو كان ذلك صحيحاً، أنتِ الآن في أعماق الأدغال، وما تبقى من العالم هو في مكان مختلف كلياً».

هذا صحيح! مالت غرايس برأسها إلى الوراء، وأصغت إلى أصوات الليل التي تعزف ألحاناً متنوعة. شعرت كأن لا شيء حقيقي خارج هذه الأدغال التي تشبه الجنة. هناك شيء ما لا يشعر المرء به إلا بالقرب من الطبيعة، وهو ما يثير هذه الحميمية التي تقربهما من بعضهما البعض.

- لم أتبع يوماً حدساً لا أفهمه. أنا لا أعرفك، فأنت لا تتحدث عن نفسك.

لم يعارضها رافايل في ما قالته، بل قال: «وهل لهذا أهمية؟».

- لا أشعر بالأمان معك.

المرح في عينيه امتزج مع بريق فيه الكثير من الخطر. قال: «أهذا ما تريدينه في الحياة، غرايس تاكر؟ الأمان؟».

شعرت بنبض في حلقها يدق بسرعة، وسمعت صوتها خشناً، وهي تقول: «ليس في الوقت الحاضر».

الآن هي لا تفكر بالأمان والسلامة. كل ما تفكر به هو رافايل كورديرو. كان الهواء حولهما يعبق بالأحاسيس النابضة، التي تضج بينهما. تساءلت إن كان وجودها هنا في الغابة الاستوائية بعيدة عن الحياة الاجتماعية هو السبب، لكنها علمت في أعماقها أن لا علاقة

WWW.HEMATREWAYA.COM

مطلقاً لما يحدث معها بالمنطقة التي تحيط بها، بل كل شيء هنا يتوقف على الرجل الذي يراقبها.

وقف رافايل، وشدها لتقف على قدميها في حركة هادفة، لم تترك لها أي مجال للشك في نواياه.

ربما هو يعلم أن لا خيار أمامها. فمنذ اللحظة التي رأته فيها واقفاً بفخر وثقة عند باب منزله، شعرت بالضياع. أتراه يعرف ذلك؟ أيدرك التأثير الذي يمارسه عليها؟

قادها عبر القاعة الزجاجية، ليصلا إلى غرفة جلوس تطل على منظر الشلال المتساقط على بحيرة الغابة، مضاءة بأنوار صغيرة خافتة. سمعت غرايس اندفاع المياه مع أصوات الغابة، التي أصبحت شبه مألوفة لديها.

- إنها رائعة الجمال. لابد أن المنظر أكثر جمالاً في ضوء النهار.

- ستخبرينني بذلك بنفسك عند الصباح.

أغلق رافايل الباب خلفه، وهكذا لم يبقَ غيرهما والغابة الاستوائية في الغرفة. ما إن جلسا على أريكة مريحة، حتى جذبها رافايل نحوه، وأبعد بلطف شعرها بعيداً عن وجهها. انحبس النفس في حلقها وهي ترفع وجهها إليه منتظرة عناقه، لكنه ابتسم لها ببطء وتكاسل. راح يتأملها كأنه يتشرب من جمالها، ويختزنه في ذاكرته. لم يعد هناك سواهما والجو الحار الذي يلفهما معاً. في تلك اللحظة، عانقها رافايل عناقاً حمله كل الشغف والشوق الذي يشعر بهما نحوها. أغمضت غرايس عينيها، فيما شعرت بنبضات قلبها تهدر كالرعد وبأعماقها تذوب كالعسل...

أمضيا الأمسية غارقين في معانقات شغوفة حارة، مستجيبين لذلك الانجذاب المتبادل بينهما. تمتم رافايل ويداه تمسدان شعرها: «أنت رائعة الجمال!».

نظر إليها كأنه يحاول أن يحفظ كل ذرة فيها، فشعرت بجسدها يتجاوب مع كل نظرة ولمسة منه. ضحك برضى وضمها إليه أكثر، تماماً كما فعل في الغابة. تأوهت غرايس باسمه: «رافايل!».

WWW.HAMASATREVIVAL.COM
JEWELRY

٧ - حمقاء أم عاشقة

استيقظت غرايس على أصوات الغابة من حولها. فتحت عينيها، فيما علت ابتسامة شفتيها. تساءلت، هل من مكان أفضل لتستيقظ فيه؟ أحست بحركة قادمة من مكان قريب، فاستدارت إلى الجهة الأخرى. فوجئت على الفور برؤية رافايل الذي دخل لتوه إلى الغرفة، وهو يحمل صينية القهوة. تسمرت عيناها على بشرته البرونزية، التي تشير إلى كثرة تعرضه للشمس، وإلى سلالته البرازيلية. فكرت أنه يملك جسداً رائعاً، من يراه يعرف على الفور أنه رجل رياضي.

- طاب صباحك إيتها الجميلة.

- آه! طاب صباحك.

فجأة شعرت غرايس بالخجل والارتباك، فنهضت وجلست على حافة السرير، ثم تابعت تقول: «لابد أن الوقت تأخر... كان عليّ أن أنهض في وقت أبكر، فقبطان طائرتك سيأتي قريباً، وما زال عليّ أن أوضب أغراضي».

- قبطان الطائرة في ريو، كما أنك لست بحاجة إلى توضيب أي شيء.

وضع رافايل الصينية على الطاولة المجاورة للسرير، ثم ابتسم بتكاسل ورضى متابعاً: «هذه هي غرفة نومك الآن».

ما الذي يتحدث عنه؟ عليها العودة إلى لندن لمتابعة حياتها ومعالجة مشاكلها. شعر رافايل بارتباكها، فاقترب منها، وضمها إليه قائلاً:

«ألغيت قدوم الطائرة. فليس هناك من شيء هام يستدعي ذهابك».

شعرت غرايس برجفة من القلق، وسألته: «هل ألغيت الرحلة؟».

أكد لها بنبرة متفاخرة: «بالطبع! هل اعتقدت حقاً أنني سأدعك تعودين إلى ديارك؟».

راح قلبها يدق بقوة في صدرها، وقالت: «لم أعتقد أبداً أنك تريدني أن أبقى».

بعجرفته المعتادة ضمها رافايل إليه وعانقها. تحول الانجذاب بينهما إلى طاقة قوية ما جعل رافايل يتفوه بكلمات باللغة البرتغالية قبل أن يضمها بشدة، وهو يهمس: «ألا تشعرين بما تفعلينه بي؟».

تأوهت غرايس، وهمست: «رافايل!».

ضحك بنعومة، وهو يقول: «هل ستتركينني الآن؟ أتريدين مني أن أدعو الطائرة؟».

لم تستطع أن تفكر بذلك فيما هو يعانقها. قالت: «لا... لا!».

قال: «أريدك أن تبقي هنا، ولا تغادري الغابات الاستوائية مطلقاً».

شعرت غرايس بالدوار من شدة السعادة. ابتسمت له قائلة: «أنت تتحدث مثل رجل الكهف».

لكنها لم تهتم بذلك، فهي سعيدة جداً لأنه يريدها أن تبقى معه. تابعت تقول: «لكنني لا أملك ثياباً. لدي بذلة تكرهها وثوب ملطخ وسروال بالٍ بسبب ارتدائه في وسط الغابة».

- كنت مذهلة البارحة. هل أخبرتك بذلك؟ لم أعرف يوماً امرأة تقوم بما قمت به من دون أي تذمر. رفضت مساعدتي حتى عندما سقطت في النهر. في الواقع حدقتِ بي بغضب.

- لم أجرؤ على التذمر، فقد بدوت غاضباً جداً مني.

أزعجه تذكر ذلك، فقطب جبينه قليلاً. قال وهو يسكب لها القهوة: «أصبح ذلك وراءنا الآن».

WWW.HAMSATREWAHY.COM JEWELRY

فعلقت: «هناك أمور علينا مواجهتها، وهي أمور هامة. أنا أشعر بمسؤوليتي عمّا حدث».

أكد لها رافايل بثقته المعهودة بنفسه: «سأجري بعض الاتصالات. الوكيل الذي يبيعك البن لن يبقى في عمله بعد اليوم. أنا متأكد أنك ما كنت لتوافقين على الاختلاس لو لم يدفعك إلى ذلك».

تجمدت غرايس للحظة، حتى تستوعب ما قاله.

- لكنني لم أوافق على ذلك. أنت تقول إنه يدفع سعراً يقلّ عن السعر العادي للبن، ويحتفظ لنفسه بالأرباح، وليس لدي أي سبب لمعارضتك، لكن إن كان يتقاسم الأرباح مع شخص ما في الشركة، فمن المؤكد أنني لست أنا ذلك الشخص.

تردد رافايل ولمعت عيناه بوميض قريب من الغضب. رفع كتفيه قائلاً: «لا داعي للتحدث بذلك من جديد. لم يعد للأمر أهمية، لأنه أصبح من الماضي».

ابتسم لها بتفهم، وتابع: «أظنك تعلمتِ درسكِ. لا تخدعي أحداً، لأنك ستتحملين عواقب ما تقومين به».

شعرت غرايس كأنها سقطت في مغطس من المياه الباردة. هو لا يزال يعتقد أنها مذنبة! غازلها وعانقها وهو يظن أنها كاذبة ومخادعة...

- لا أصدق ذلك! أنت ما زلت تعتقد أنني مذنبة. أليس كذلك؟

أبعدت يديه عنها، وأصبح تنفسها فجأة سريعاً، فيما أخذ قلبها يدق بسرعة في صدرها بعد أن أدركت ما الذي يعنيه بكلامه. تنهد رافايل ثم قال: «اعترفت للتو أنك مذنبة».

هل فعلت ذلك؟ هل قالت فعلاً إنها مذنبة؟ حاولت غرايس أن تتذكر حديثهما...

- قلت إنني أشعر بالمسؤولية. هذا صحيح، لكن ليس لأنني أخذت

المال بنفسي، بل لأن هذه شركتي، وأنا مسؤولة عما يجري فيها.

لوح بيده بطريقة تعني إنهاء هذا النقاش، وقال: «لا أهمية للأمر الآن».

- إنه هام بالنسبة لي، لذا علي العودة إلى بلادي لتسوية الأمور.

حاولت غرايس النهوض، لكنه أحاطها بذراعيه وشدها نحوه: «أنا لا أهتم بما تفعلينه. ألا تفهمين ذلك؟ لا شيء من ذلك يُحدث فرقاً في ما أشعر به حيالك».

- كيف يمكنك أن تقول ذلك؟

حدقت به، وهي تشعر بالغضب والكره لذاتها بسبب الإحساس القوي الذي اجتاحها إثر لمسته.

- أتقول إنك قادر على التقرب من امرأة كاذبة ومخادعة، تماماً كما تفعل مع امرأة صادقة ونزيهة؟

رفع رافايل كتفه بلا مبالاة، وأجاب: «ما تفعلينه في وقتك الخاص ليس من شأني».

قطب جبينه قبل أن يتابع: «شرط ألاّ تخدعي كارلوس وفلومينا، لكن كلينا نعلم أن ذلك لن يحدث مجدداً».

شعرت غرايس بالغضب والرعب، أغمضت عينيها للحظة وهي تشعر أن سعادتها العابرة قد اغتيلت بسبب موقفه الساخر العدائي.

- اعتقدت أنك تثق بي.

- لماذا أحتاج إلى الوثوق بك؟

لمحة التعجب في عينيه أظهرت حقيقة أن الثقة مفهوم غريب عنه. شهقت غرايس بسبب الألم الذي شعرت به، وهزت رأسها غير مصدقة. أي سحر مجنون سيطر عليها في هذه الغابة المسحورة؟ وأية حماقة جعلتها تعتقد أنها قادرة على فهم هذا الرجل؟

- من الذي فعل هذا بك؟

WWW.LAMASATREWAIYA.COM

رمشت بعينيها لتتخلص من دموعها، وحدقت به باحثة عن إشارة ما تدل على لطف أو رقة، لكن وجهه بدا قاسياً جداً. قال بضيق: «لماذا تريد النساء دائماً التحدث عن التنافس؟ أنت هنا الآن، ويجب أن يكون ذلك كافياً لك».

لسبب غير واضح لها، شعرت غرايس بغصة في حلقها. قالت: «أشعر بالأسف عليك».

- أنا واقعي جداً بشأن النساء. لا أتوقع الكثير منهن، ولا أريد ذلك.

دفعته بعيداً عنها قائلة: «حسناً! أنا أريد أكثر من هذا، رافايل!».

لم يعارضها رافايل، بل قال: «وأي امرأة لا تريد المزيد؟ هذا ما ستحصلين عليه».

تابع بنبرة منخفضة ومليئة بالوعود: «ستحصلين على كل ما تريدينه. أنا عاشق كريم بشكل لا يصدق».

- هل تعتقد حقاً أنني سآخذ مالاً منك؟

- ليس المال فقط.

تضاعف غضبها الآن، فابتعدت عنه قائلة: «لا أريد مالك! أريدك أن تثق بي. أريدك أن تصدق أنني بريئة. لابد من وجود طريقة لأبرهن لك أنني لست متورطة بالاختلاس، وأن المال لم يُدفع لي. أريدك أن تنظر إلى الحسابات من جديد».

شعر رافايل بالسأم مما يجري. ضغط على أسنانه، وقال: «الأمر الوحيد الذي يثير اهتمامي هو أنت. أريدك قربي، ولا أهتم لشيء غير ذلك. انسي عملك. فأنت لست بحاجة إليه بعد الآن».

سألته: «كيف يمكنك أن تقول ذلك؟ ولماذا علي أن أتخلى عنه؟».

ابتسم رافايل، وهمس قرب وجهها: «لأن لديك الآن البديل، وهو أكثر ربحاً، ومصدراً أسرع للثراء».

حدقت غرايس به، وقد فغرت فمها ما إن فهمت مغزى كلماته.

- هل تعتقد أنني سآخذ مالك؟ هل تعتقد أنني أهتم لمالك؟ هل تعتقد أنني من هذا النوع من النساء؟

أدركت غرايس فجأة أنها وقعت في غرام هذا الرجل القاسي، الذي يعيش في هذه الغابة البعيدة. يا إلهي! هذا أمر يصعب تصديقه. مع ذلك هذا ما حدث. أحست بالألم العميق الذي يشعر به في داخله، وشعرت برابط قوي بينهما. بطريقة ما، وقعت في حب رجل لا يريد حبها. ليلة البارحة انقضت، وسحر الغابة وصل إلى نهايته. أما الآن، فعلمت ما الذي عليها القيام به.

- علي أن أواجه مشكلتي، وأجد لها حلاً. وعدت فلومينا وكارلوس بذلك.

كيف أمكنها أن تكون بهذا الغباء؟ كيف أمكنها أن تكون بهذا السذاجة، وبهذا الغرور، لتظن أنها قادرة على تغيير هذا الرجل؟

رأته يقطب جبينه، كأنه لا يفهمها، وهذا صحيح. عضت على شفتها كي لا تضحك بطريقة هستيرية. على الرغم من تقاربهما مساء البارحة، فهو لم يقترب مما تفكر به وما تشعر به نحوه. لمعت عينا رافايل من التوتر، وقال: «أنا بالكاد ألمحت إلى أنك لن تجدي نفسك بحاجة إلى المال».

- أتعني أنك ستدفع لي المال إن وافقت أن أصبح عشيقتك؟ أهذا ما تقوله؟

شعر بالخطر، فحدق بها بعينين ضيقتين. أخيراً ابتعد عنها، وهو يقول: «لا، ليس هذا ما أقوله».

قالت محاولة أن تتجاهل الألم المتزايد في معدتها: «ألست تعرض علي مالاً وهدايا ومزيداً من المال لا يمكنني أن أصرفه في ساعات العمل العادية؟».

WWW.HAMSATREWAIA.COM

يبدو أن سخريتها لم تصله. أخذ رافايل يراقبها من بين جفونه الثقيلة، وقد ظهرت ابتسامة استياء على فمه: «بالطبع! يمكنك أن تسمحي لخيالك المستحيل بالسيطرة عليك».

سيطر عليها غضب قاتل، وشعرت بعواطفها تلتهب.

- خيالي الوحيد يتعلق برميك في بركة مليئة بالأسماك السامة الجائعة.

انطلقت الكلمات من فمها كالحجارة. فجأة حملت قميصها وسروالها القذر متجاهلة بقع الوحل عليهما، ثم توجهت إلى غرفة الحمام، وأسرعت بارتدائهما. حين عادت إلى الغرفة، بادرته بالقول: «اعتقدت حقاً أن هناك أملاً فيك! اعتقدت أن هناك رجلاً نزيهاً ذا مشاعر إنسانية تحت القشرة الخارجية القاسية التي تظهرها للعالم، لكنني اكتشفت الآن أنك بارد وفارغ، تماماً كما تبدو».

ضاقت نظرته، وهو يحدق بها قائلاً: «تتصرفين الآن كطفلة تجتاحها موجة من الغضب، وهذا أمر غير ضروري. أنا حقاً لا أهتم لأنك أخذت المال. أصبح ذلك من الماضي، وأنا لا أهتم مطلقاً للماضي».

- بلى، هذا ما تفعله. العيش في الماضي هو ما يجعلك ساخراً ومشككاً كما أنت. حسناً! لا أعرف ما الذي فعلته الحياة بك، لكنني آسفة لأجلك، رافايل.

لمعان الغضب المفاجئ في عينيه جعلها تتجمد مكانها. للحظة حدقا ببعضهما، وبدا التوتر بينهما كبيراً وقوياً جداً. بعد ذلك رأت اللمعان المألوف في عينيه فشعرت بوجهها يتورد من الخجل. قالت بنبرة ناعمة: «كيف يمكنك أن تفعل ذلك؟ كيف يمكنك أن تنظر إلي هكذا، وأنت تعتقد أنني مذنبة بجريمة سرقة؟ أليس لديك معايير؟ إن كنت تعتقد حقاً أنني قمت بهذا، كان عليك رميي إلى الخارج».

حدق إليها بغضب، وأجاب: «كما قلت لكِ، أنت امرأة، وكل

النساء متمرسات بالخداع بطريقة أو بأخرى، وهذا الأمر لا يزعجني حقاً، فأنا أتوقع ذلك».

- هل تتوقع أن تخدعك النساء على الدوام؟

رفع رافايل كتفيه قبل أن يجيب: «النساء جشعات، ويرغبن بالسيطرة، ويصبحن غاضبات جداً عندما لا تسير الأمور وفق إرادتهن، تماماً كما يحدث معك الآن».

اختنق صوتها بالدموع. بالكاد تمكنت من التفوه بالكلمات: «أنت على حق! أنا منزعجة جداً، لأن أمسية البارحة كانت مميزة بالنسبة لي، والآن اكتشفت أنني كنت مجرد امرأة متوفرة لك».

استلقى على الوسائد يراقبها، كأنها مقدمة لبرنامج ترفيهي يُقدم خصيصاً لتسليته: «أنت فائقة الجمال عندما تغضبين، عزيزتي».

- استعد إذاً لأصعقك بجمالي!

انتعلت حذاءها بسرعة، وتابعت:

- لأنني لم أبدأ بعد.

بدا واضحاً أنه سئم من تحول النقاش إلى شجار واتهامات. مرر يده فوق وجهه، وهو يتثاءب، ثم قال بنعومة: «ربما كان عليّ تحذيرك أنني أكره المشاهد العاطفية».

جذبت غرايس بذلتها من الخزانة بعنف، ووضعتها في الحقيبة قائلة: «يمكنني المراهنة على ذلك. في الواقع أنت تكره كل شيء له صلة بالعاطفة، لأن العواطف تحرجك. أليس كذلك، رافايل؟».

جذبت فستان الكتان، ووضعته في الحقيبة بدون أي اهتمام فوق البذلة، غير مكترثة لما سيحدث لهما في المستقبل.

- يمكنك أن تسير في الأدغال المليئة بالحيوانات المفترسة، ولن يسبب ذلك أي تسارع في دقات قلبك، لكن إن صادفت أي أثر للعاطفة في طريقك، ستصبح يقظاً خشية أن تقفز عليك وتعضك.

WWW.HAMSATREWAYA.COM

أغلقت الحقيبة بعنف، ثم رفعتها فوق كتفها، وهي تحدق به بغضب. لم تدرِ ماذا عليها أن تفعل. هل تصرخ أم تنتحب؟ لا! لن تقوم بأية ردة فعل أمامه. قالت: «أنت أفعى، رافايل! وأسوأ خطر يمكن مواجهته في هذه الغابة. أنت عقيم من الناحية العاطفية. أنت غير قادر على الإحساس بأي شيء. أليس كذلك؟ حسناً! من الأفضل أن تطلب عودة المروحية».

غادرت الغرفة من دون أن تنظر إليه، متسائلة إلى أين ستذهب في الوقت الذي ستنتظر فيه وصول المروحية. إنه يريدها بعيداً عن مخبئه الخاص، ليتمكن من العودة إلى مسح جراحه بمفرده. أما هي فإنها لا تستطيع أن تركز على جراحه في الوقت الراهن، لأن جراحها عميقة، وهي تنزف. هناك أمر واحد تعرفه جيداً: هي لا تريد أن تكون في أي مكان قربه أثناء فترة الانتظار!

* * *

استلقى رافايل على السرير، وعيناه تحدقان بالأشجار في الخارج. حاول جاهداً أن يُعرِّف الأحاسيس غير المألوفة التي تتصارع في أعماقه. قال لنفسه، إنها على حق! هو عقيم من الناحية العاطفية، وغير قادر على الشعور مع الآخرين. لكن لماذا تعتقد غرايس هذا أمراً سيئاً؟ بالنسبة له، هذا أمر جيد ومثالي. لقد عمل كثيراً لتحقيق هذا النوع من التوازن في داخله. تساءل، ما الذي تملكه غرايس لتجعله يعيد النظر في كل ما يؤمن به بهذه البساطة؟ على الرغم من أن غرايس تاكر فاجأته في أكثر من مجال، إلا أنها في أعماقها تشبه كل النساء. ليس فقط لأن هدفها هو الحصول على الربح المادي من دون أي مجهود يذكر، بل لأنها تمارس الألاعيب نفسها التي تمارسها النساء. لماذا لا يعترفن أن الانجذاب الحسي هو مجرد انجذاب حسي، وليس له أية علاقة بالزواج والعيش معاً حتى آخر العمر؟ شعر

بإحباط لم يشعر به يوماً، فنهض عن السرير وأخذ يتجول في الغرفة، محاولاً أن يهدئ أفكاره.

ما تشاركا به هو مجرد معانقات وانجذاب حسي ولا شيء أكثر من ذلك. لِم لا تعترف بذلك بدلاً من جعل الأمورمعقدة كما فعلت منذ قليل؟ من جهة أخرى، لماذا أصرت على إقناعه ببراءتها؟ إن دعوته لها للبقاء معه هي برهان على أنه لا يهتم مطلقاً لجشعها الغريزي وأنه مستعد للقبول بها كما هي تماماً. ما هذا الهوس بشأن براءتها؟

مهما كان الأمر، انتهى ذلك بالنسبة إليه الآن. سيجعل مهمته التالية التأكد من أن وكيل أعمالها وشريكها في الجشع والاحتيال قد انتهى وبشكل نهائي. كرجل لديه مهمة رسمية، سار رافايل نحو مكتبه للقيام ببعض الاتصالات الهاتفية.

سارت غرايس بسرعة في الغابة، عبر الممر الموصل إلى الشلال والبركة. لماذا تشعر بهذا الغضب العارم؟ رافايل لم يقدم لها أي وعود، لماذا تشعر إذاً كأنها خُذلت، وأنها يائسة تماماً؟ لم تشعر يوماً بمثل هذا الارتباك في حياتها. هو قادر على رؤية علاقتهما بطريقة بسيطة ومباشرة، فلمَ لا تستطيع أن تفعل ذلك هي أيضاً؟

سارت على غير هدى، والدموع تملأ عينيها، احتاجت إلى عشرين دقيقة لتدرك أن ليس هناك أي أثر للبركة في الغابة. لم تستطع سماع انهمار مياه الشلال، وهذا يعني أنها اجتازت ممراً آخر. توقفت، ونظرت حولها باحثة عن أي شيء قد تتعرف عليه، لكنها لم ترَ أي شيء مألوف لديها. قررت أن أفضل خيار تقوم به هو أن تستدير وتعود من حيث أتت. عادت عبر الممر، وهي تدرك فجأة الأصوات والصراخ الذي يملأ الهواء حولها. شعرت بحفيف الأغصان وأوراق الأشجار بجانب قدميها، ورأت فوق رأسها عنكبوتاً كبيراً معلقاً في شبكته.

البارحة، برفقة رافايل الذي كان يسير بخطوات واسعة ثابتة أمامها،

WWW.LIMSATREWIYA.COM

شعرت غرايس بالأمان. أما الآن، فهي وحيدة في الغابة. شعرت بإحساس غريب من الخوف، حاولت جاهدة السيطرة عليه. ذكرت نفسها بحزم، أن الرعب لن يوصلها إلى أي مكان، لكنها توقفت يائسة ما إن رأت تشعب الممر. لا يمكن أن تكون قد ابتعدت كثيراً، فقد سارت لمسافة تقل عن النصف ساعة. هذا يعني أن أحدهم سيأتي عاجلاً أم آجلاً ويجدها. لكن... هل سيفعلون؟ على الأرجح أن رافايل جالس الآن أمام شاشة الكومبيوتر جاهلاً أنها تائهة...

* * *

لم يجد رافايل أي منطق في ما يحدث. بإحباط متزايد، رمى الهاتف من يده، وقد ظهر القلق والغضب على محياه. أمضى ساعة من الوقت يتحدث عبر الهاتف. بدلاً من أن يجد أجوبة عن أسئلته، تضاعفت تلك الأسئلة. الاختلاس يفوق كثيراً ما تخيله في البداية، لكن أمراً واحداً مؤكد: غرايس تاكر لم تستفد ولو مرة واحدة من المال الذي سُلب من الشركة! هذا يعني أنها كانت تقول الحقيقة طوال الوقت. مرر يده على وجهه، وشتم بصوت مسموع، وهو يجبر نفسه على مواجهة الحقائق. هي لم تسرق شيئاً، كما أنها ليست مذنبة. هي لم تختلس ماله، ولم تخدعه!

حاول أن يكبح انزعاجه المتزايد. مال إلى الأمام، وضغط على زر في هاتفه بإصبع متوتر، ثم تراجع على كرسيه حتى ظهرت ماريا.

- اطلبي من الآنسة تاكر أن تأتي إلي.

تحدث باللغة البرتغالية. هو متأكد أنها تملك الأجوبة التي يحتاجها. إنه ببساطة يحتاج إلى طرح الأسئلة المناسبة، وحتى الآن، هو لم يفعل ذلك.

- خرجت الآنسة تاكر إلى الغابة.

جمدت يد رافايل في مكانها، وقطب جبينه على الفور، وهو يسأل:

«هل ذهبت للسباحة من جديد؟».

هزت ماريا رأسها، وأجابت: «لا أعتقد أنها ترتدي ثوب السباحة».

ترددت مدبرة المنزل قليلاً، قبل أن تتابع: «بدت غاضبة قليلاً».

لم يتوقف ليسأل نفسه لماذا اهتم لرأي مدبرة منزله فجأة. قفز رافايل على قدميه، وهو يشتم.

- منذ متى؟

- منذ أكثر من نصف ساعة.

ما الذي تملكها؟ لماذا ذهبت تتجول في الغابة؟ آه! إنه يعرف الأجوبة بالطبع. كررت له غرايس مراراً أنها بريئة، وهو لم يصدقها. خرجت إلى الغابة لأنها غاضبة، وهو من أثار غضبها لعدم ثقته بها. لكن، لماذا عليه أن يثق بها؟ لا سبب لديه يدفعه ليثق بأية امرأة في ماضيه كله؟ من دون أن يضيع الوقت في التحليل والتفكير، خرج رافايل من المنزل، وتبع الممر القديم الذي يقوده إلى عمق الغابة. شعر بالتوتر يضغط على أعصابه. تصلبت كتفاه ما إن بدأ يفكر ماذا يمكن أن يحدث لامرأة لا خبرة لديها في السير في الأدغال. نادى باسمها مرات عدة، لكنه لم يتلقَ أي جواب. شعور غامض غير مريح تحرك في أعماقه، ما إن تذكر مخاطر الغابة الاستوائية: عناكب سامة، أفاعٍ...

شعر رافايل بالاشمئزاز من نفسه، اختارت غرايس أن تواجه مخاطر الغابة بدلاً من المخاطرة برؤيته مجدداً. ذلك يعني أمراً واحداً: إن غرايس تاكر صادقة وبريئة. ربما هي جاهلة في عالم الأرقام... شابة دون خبرة في إدارة العمل... حمقاء... ربما تنطبق عليها واحدة من هذه الصفات أو كلها، لكنها ليست مختلسة.

حثّ الخطى آملاً أن يخفف عنه التعب الجسدي توتره المتزايد. أخبرها منذ البداية أي نوع من الرجال هو. ليس هو الملام لأنها تخيلت

WWW.HMSATIRE-WAFA.COM

أن هناك شيئاً عميقاً في داخله تجاهها. بقي ضائعاً في متاهات أفكاره الخاصة، ما منعه من رؤيتها جالسة على جذع شجرة يابسة، ووجهها شاحب كالأشباح.

زفر رافايل بشدة، وقال: «بحق السماء! ما الذي جعلك تسيرين على غير هدى في الأدغال؟».

انفجر الغضب في أعماقه لدرجة أنه نسي وعوده بمعاملتها بحذر واهتمام. تبخر ذلك الوعد بسبب إحساسه بالراحة لأنه وجدها سليمة معافاة. تفاجأت غرايس بوجوده، فقالت: «رافايل!».

همّت بالوقوف، لكن نظراته تحولت بسرعة إلى شيء ما يتحرك فوقها. جمد في مكانه، ومدّ يده بحذر إلى العصا التي يحملها في حزامه.

- ابقي هادئة!

رأى كتفيها النحيلتين تتصلبان من التوتر، لكنها فعلت كما طلب منها. تقدم رافايل، واستعمل العصا بحذر ليبعد أفعى سوداء وصفراء اللون كانت تقترب من كتفها. أدارت غرايس رأسها ببطء، واتسعت عيناها وهي تحدق بالأفعى الضخمة الملونة، التي كانت تتسلق الشجرة قربها. سألته: «أهي سامة؟».

- لا، لكنني لا أعتقد أنك ترغبين أن تسقط أفعى طولها ثلاثة أمتار عليك.

ازداد شحوبها بسبب ما سمعته، أما هو فتابع: «لا يستبعد أن تقترب منك أفعى سامة، غرايس».

شعر بالغضب من تلك الفكرة أكثر مما يظن. اقترب منها، وجذبها لتقف على قدميها، وحدق بها وكأن ناراً تشع من عينيه.

- ماذا ظننت نفسك فاعلة؟ هذه غابات استوائية... لا يمكنك أن تذهبي للتجول فيها ساعة تشائين.

- أعلم ذلك.

لقد أبعد للتو أفعى كانت بالقرب من عنقها، فلماذا لا تقفز لتتعلق به أو تصرخ بشكل هستيري؟

- من المستحيل أن يتمكن أحد من فهمك! أنت لا تتصرفين أبداً كبقية النساء.

- بما أنني أعرف رأيك بالنساء، فإنني سأعتبر كلامك إطراء لي.

نظرت غرايس حولها بخوف، ثم رطبت شفتيها، وتحركت لتصبح قربه. قالت: «أخطأت في المنعطف».

ضغطت أصابعه على القسم الأعلى من ذراعيها، وهزها قليلاً، وقد امتزج لديه الضيق بعدم التصديق. تابع قائلاً: «كيف يمكنك ارتكاب مثل هذا الخطأ؟ هذه ليست طرقاً معقدة ومتشعبة».

تورد وجهها من الاحراج، وأجابت: «اختلط الأمر عليّ بين اتجاهي اليمين واليسار».

- ماذا؟

هز رافايل رأسه غير مصدق: «هذا النوع من الخطأ قد يشكل فاصلاً بين الحياة والموت في الغابة. ألا تدركين ذلك؟ هل أنت غبية؟».

شعر بها تتصلب بين ذراعيه. ابتعدت غرايس عنه، ورفعت رأسها لتنظر مباشرة في عينيه. لمع بريق في عينيها، أهي الدموع أم الغضب؟ قالت بنبرة، تنضح بالألم والعذاب: «لا تنعتني مطلقاً بالغباء! أعترف أنني أخطأت الممر، وأدرك أن الضياع في الأدغال أمر قد يوصلني إلى نهاية مأساوية، لكنني لست غبية. لا تنادني كذلك مطلقاً بعد اليوم».

مدّ رافايل يديه مستغرباً. لماذا جعلتها كلمة واحدة تظهر هذا الانفعال العاطفي، في حين أن أفعى ضخمة لم تحدث ذلك؟

- إذاً لماذا سمحت لنفسك أن تضيعي؟

ترددت غرايس للحظة قبل أن تجيب. قالت: «لأنني أخلط دائماً بين

WWW.HAMSATREWAYA.COM JEWELRY

اتجاهي اليسار واليمين».

- لماذا تخلطين بين الاتجاهين؟

نظر إليها غير قادر على استيعاب ما يسمع، فابتلعت غصة كادت تخنقها: «لأنني مصابة بالديسلكسيا».

حدق بها وقال: «أنت مصابة... بالديسلكسيا؟».

- هذا صحيح.

أمضى عدة لحظات يقلب الأفكار في دماغه، وأخيراً قال: «أتقصدين أنك تعانين من مشاكل في القراءة؟».

- في الواقع لا. أنا لست سيئة في القراءة، لكن أخلط ما بين الاتجاهات، كما أنني مرعبة في الأرقام.

نظرت إلى مكان بعيد عنه، والحرارة تحرق خديها. قالت متابعة: «إنني مرعبة مع الأرقام... أفترض أنك أصبحت تعرف ذلك».

ذُهل رافايل من اعترافها. مع ذلك قطب جبينه وهو يقول: «لكنك لم تضيعي البارحة وأنت ذاهبة إلى بركة الغابة».

- سألت ماريا عن الاتجاهات وكتبتها على يدي. لكنها امّحت بعد اغتسالي في البركة.

أخذ نفساً طويلاً قبل أن يقول: «أتقولين لي إنك لا تستطيعين قراءة الأرقام، ومع ذلك تديرين عملاً خاصاً بك؟».

- كثير من الناس مصابون بذلك، وهم ناجحون جداً في أعمالهم. أنا أستطيع القيام بكل شيء ما دمت غير مجبرة على النظر إلى الحسابات. الحسابات تربكني.

تفوهت بكلماتها الأخيرة بتوتر وخجل. فجأة شعر رافايل أن كل ما شغل باله وأثار حيرته بان له بوضوح الآن. إنها ليست ساذجة أو حمقاء، بل مصابة بالديسلكسيا.

فجأة أصبحت ملامح وجهه كئيبة. مدّ يده، وأطبقت أصابعه على

رسغها النحيل، ثم قال: «تعالي!».

- إلى أين سنذهب؟

- سنعود إلى المنزل، حيث سأطرح عليك الأسئلة التي يجب أن تُسأل. هذه المرة أريد الحقيقة، غرايس! لا أسرار بعد اليوم.

- أنا لا أريدك أن تعاملني بطريقة مختلفة لأنني...

شدها رافايل إليه، وحدق بها بغضب. قال: «اسدي لي خدمة، ودعيني أقرر بنفسي ما هو الأمر الهام. هذه المرة أريد أن أعرف كل شيء عنك. إن كان هناك ما تعتقدين أن لا حاجة لي بمعرفته، فإنني أريد أن أعرفه بالتحديد».

وقفت غرايس في مكتبه من جديد، وأصغت إلى رنين الهاتف المتواصل. فكرت وهي تشعر بالخدر، أن رافايل قد يكون مختبئاً في الغابة، لكن الناس لا يتركونه وشأنه. بدا واضحاً أن لا رغبة لديه في التحدث مع أحد. رفع سماعة الهاتف، وأعطى تعليماته لشخص ما أن يتلقى الاتصالات ويسجلها. أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها. واستدار ليحدق بها باهتمام: «حسناً! أنا أصغي إليك الآن».

رفعت غرايس كتفيها، وقالت: «ماذا تريد أن تعرف؟».

- كل شيء. لا تغفلي عن ذكر أي شيء، غرايس!

تنفست بعمق قبل أن تقول: «بدأت عملي بتلك الفكرة، إنشاء مقاهٍ للشباب. أردت...».

- لا أقصد العمل. في الوقت الراهن، أنا أعرف عن عملك أكثر منك. أريد أن أعرف عنك أنت. عودي إلى الوراء قليلاً... قبل إنشاء المقاهي.

لم يبعد رافايل نظره عن وجهها، فيما أخذت أصابعه تنقر على الطاولة إيقاعاً يعبر عن نفاد صبره، وهو يتابع: «عودي إلى الطفولة.

WWW.HIMSATREWAYA.COM

متى أدركت أنك مصابة بالديسلكسيا؟».

حبست غرايس أنفاسها، إذ عاودتها تلك الأحاسيس التي كبتتها لسنوات: «لا أهمية لذلك الآن».

جمدت أصابع رافايل على المكتب، وجاء صوته هادئاً: «غرايس! شخص ما يسعى إلى زعزعة عملك، والسبب الذي جعله قادراً على ذلك هو معرفته أنك لا تستطيعين اكتشاف الأمر. أنت لا تتأكدين من الحسابات. أليس كذلك؟».

أحست بوجهها يشتعل، وكأنها عادت تتلقى دروساً في الحساب من جديد. قالت بنبرة مضطربة: «لا! أنا لا أنظر إلى الحسابات مطلقاً».

- كيف تعرفين إذاً ما الذي يجري؟ كيف تتمكنين من معالجة المشاكل المادية الطارئة، إن كنت لا تستطيعين التعامل مع الأرقام؟

- أنا أعمل فقط مع أشخاص أثق بهم. أنا أعتمد عليهم ليخبروني ما أنا بحاجة إلى معرفته...

توقفت عن الكلام فجأة، بعد أن أدركت سخافة ما تتفوه به. تابعت بحزن: «...أو ما يريدونني أن أعرفه. أليس كذلك؟».

ضغط رافايل على شفتيه، ليقول بهدوء: «ألم تفكري للحظة أنهم قد يستغلونك؟».

طرفت بعينيها عدة مرات، لتتمكن من الرؤية بوضوح، وأجابت: «لِم سيفعلون؟».

حدق إليها رافايل بغضب وسخط واضحين، ثم قال: «هذا ما يفعله الناس، غرايس! هذا هو العالم الحقيقي. إنه عالم قاس وصعب، ليس فيه مكان لمشاعر الود والصداقة. في العالم الحقيقي، الناس يكذبون ويخدعون ويستغلون بعضهم البعض».

أرغمت غرايس الكلمات على المرور في حلقها الضيق بسبب غصتها، فقالت بهدوء: «ليس الجميع كذلك. هناك الكثير من الخيرين

والمخلصين...».

ضرب رافايل بقبضته على الطاولة، ونهض على الفور قائلاً: «وجهة نظرك هذه تشجع الناس على استغلالك. عليك أن تصبحي أكثر قسوة، وإلاّ فإنك لن تنجحي في عملك».

- كنا نجني الكثير من المال، واعتقدت أننا نحصل على أرباح كافية.

- لكنك لم تدققي بالتكاليف.

- لا!

- حسناً! أنا فعلت.

مرر رافايل أصابعه في شعره، وسار بخطى واسعة عبر الغرفة، ليصل إلى النافذة. تابع بعد قليل: «هل ترغبين بمعرفة الأجوبة عن أسئلتك؟».

هل ترغب بذلك حقاً؟ فجأة شعرت غرايس أن ساقيها ترتجفان، وأحست بألم في معدتها. علمت أن ما سيقوله لن يعجبها، لكنها لم تتعود الهرب من المواجهة. قالت: «بالطبع، أريد أن أعرف».

استدار لينظر إليها، وعيناه السوداوان تلمعان. قال: «قام والدك باقتسام المال مع الوكيل، بينما كانا يدفعان القليل فقط لكارلوس وفلومينا».

والدها!! تضاعف الإحساس بالألم في أعماقها، فهزت رأسها محاولة الإنكار: «لا بد من وجود خطأ ما».

قال رافايل: «ما من خطأ على الإطلاق، كما أن هذا ليس كل شيء».

ظهر الضيق على وجهه وهو يتابع: «أخبرتني أنك قمت بتجديد المقاهي، وأن التكاليف فاقت ما توقعته. عرفت من خلال بحثي، أن والدك اتفق مع المتعهد على سعر يفوق السعر الحقيقي، ثم اقتسما

WWW.HAMSATREWAIA.COM JEWELRY

الفرق في ما بينهما. والأمر نفسه ينطبق على أجري المدير والاستشاري الجديد. لو جمعت تلك الأرقام معاً لحصلت على مجموع أرباحك».

أطلق رافايل نفساً طويلاً، ثم التقط مجموعة من الأوراق عن مكتبه، رأت غرايس أنها مليئة بدوائر وخطوط حمراء، وتابع قائلاً: «والدك أوقع بك غرايس! لهذا السبب عملك لايحقق الربح».

شعرت غرايس بالضعف وارتجافة. هزت رأسها قائلة: «أجل!».

- لماذا فعل بك ذلك؟

تلوّت من الألم وهي تقول: «أظن... لأنه حظي بابنة مثلي... لم أكن طفلة مرغوب بها. لطالما كنت فاشلة في الرياضيات وكل ما يتعلق بالأرقام، ولا بد أنني سببت خيبة أمل كبيرة له».

استدارت مبتعدة عن رافايل، وسارت باتجاه النافذة. حدقت بالأشجار الفضية من دون أن ترى شيئاً. قالت بعد قليل: «أعتقد أنه أخيراً وجد طريقة تحولني من مصدر لخيبة الأمل إلى مصدر للربح».

- والآن، ماذا ستفعلين؟

- لا أعلم!

رفعت غرايس كتفيها، وتابعت: «كم أنا غبية بالفعل!».

علّق رافايل بعنف: «لا! أنت لست كذلك. لديك أفكار رائعة وقدرة كبيرة على المثابرة وتحمل المصاعب. كما أن الأجر الذي كنت تأخذينه ليس منصفاً لك مطلقاً».

- أخبرتك أنني لا أهتم للمال.

وضع رافايل الأوراق على مكتبه، وأخذ نفساً عميقاً، قبل أن يسألها: «ما الذي تهتمين له إذاً، غرايس؟».

- ما يهمني هو تطوير ذاتي. كبرت وأنا أسمع من الآخرين أنني فاشلة؛ والدي، أساتذتي... ألديك فكرة عن شعور المرء عندما يقال له دوماً إنه غير قادر على النجاح أو تحقيق أي تقدم؟

حدقت بالخطوط القاسية في وجهه الوسيم، وتذكرت الطريقة الاستبدادية التي يدير بها أعماله. أدركت أن هذا الرجل لا فكرة لديه مطلقاً معا تتحدث عنه، لذا قالت: «لا أهمية لذلك الآن».

- بل هي مسألة هامة جداً. لماذا تم التعامل معك على هذا النحو؟ لماذا لم يساعك والدك وأساتذتك؟ المدارس هذه الأيام قادرة على التعامل مع من هم في مثل حالتك ببساطة.

- اعتقدوا أنني عنيدة، مزعجة وغبية...

غبية! غبية! امتلأت عيناها بالدموع، وقالت بضيق: «أكره التحدث عن ذلك».

وقف رافايل، وسار نحوها. أمسك بكتفيها، وأدارها لتواجهه: «هذه المرة ستستمرين بالكلام حتى أسمع ما أنا بحاجة إلى سماعه».

لماذا يريد سماع المزيد؟ ألكي يذلها أكثر؟

- في المدرسة كنت أبطأ من بقية التلاميذ، وكأنني غبية الصف.

ذكرت نفسها أنه بالتأكيد كوّن هذا الرأي عنها قبل الآن.

- اعتاد المعلمون أن يكونوا عديمي الصبر معي، أما أبي...

توقفت غرايس عن الكلام، فقطب جبينه، وشجعها قائلاً: «ماذا...؟».

قالت بهدوء وهي تبتعد عنه، وتلف ذراعيها حول صدرها بحركة غير واعية طلباً للدعم والحماية: «بدا الأمر صعباً عليه. أراد الحصول على ابن يسير على خطاه في عالم الأعمال، وما حصل عليه هو ابنة غير قادرة على جمع الأرقام الرئيسية».

حدق بها رافايل، وهو يسألها: «ألم يفكر للحظة أن لديك مشكلة ما؟».

- آه! اعتقد أنني كسولة، بطيئة الفهم...

عضت على شفتها قبل أن تتابع: «...حمقاء. مرة أو مرتين حاول

WWW.HAMSATREWAIYA.COM JEWELRY

أن يساعدني لكنني لم أتمكن من فهمه أبداً، وهكذا تخلى عن الأمر».

- إذاً من الذي قام بتشخيص حالتك؟ وما الذي حدث؟

سمعت غضباً في نبرة صوته، فنظرت غرايس إليه بيأس. لديه كل الحق بأن يغضب منها. هي لم تخبره الحقيقة عن وضعها. أليس كذلك؟ أخذت القرض من دون أن تكون صادقة وصريحة بشأن مهاراتها، أو بالأحرى عن فقدانها لتلك المهارات.

- أتت إلى المدرسة معلمة جديدة، لديها خبرة مع تلاميذ مصابين بالديسلكسيا. ساورتها الشكوك ما إن رأتني، وقررت أن تجري لي امتحاناً. النتائج صدمتها بالفعل. وجدت أنني في مرحلة متقدمة من الديسلكسيا، ولم تستطع أن تصدق أن لا أحد ساعدني من قبل.

رفعت غرايس كتفيها قبل أن تتابع: «أمضت ساعات طويلة من وقتها الخاص معي لمساعدتي. علمتني طرقاً لنقل المعلومات، والكثير من الأشياء التي أستطيع أن أقوم بها بطريقة جيدة، وأكدت لي أنني لست غبية على الإطلاق. لكن الأهم من ذلك كله، أنها علمتني ألاّ أستسلم أبداً، مهما كانت الظروف».

مرر رافايل يده على قفا عنقه، وأغمض عينيه للحظة، قبل أن يقول: «ألم تفكري أن هذا الأمر يستحق أن تذكريه لي من قبل؟».

- أعطيتني عشر دقائق فقط.

محاولتها الضعيفة للمزاح فشلت على الفور بسبب تحديقه الغاضب بها. تنهدت غرايس، وتابعت: «لا! لأنني لم أعطِ لنفسي الأعذار مطلقاً. أردت أن أعيش حياتي متّبعة القواعد التي يتبعها أي شخص آخر».

- لم تذكري الأمرعندما أخذت القرض؟

- لو أنني أخبرتك بذلك حينها، لما أعطيتني القرض.

قطب رافايل جبينه، وقال: «هذا غير صحيح».

- بلى. لقلت لي إنني لست من النوع القادر على إدارة أي عمل ناجح.

ابتلعت غصة مؤلمة، وتابعت: «وهذا صحيح. أرى ذلك بوضوح الآن. اعتقدت أنني أستطيع القيام بعمل ناجح، ما دام لدي أشخاص يساعدونني. لكن... إن كنت لا تستطيع الثقة بعائلتك، فبمن ستثق إذاً؟».

- حسب خبرتي، لا أحد يستحق الثقة، لا سيما العائلة.

ابتسمت غرايس بألم، وعلقت: «آه! هل تعمدت عائلتك خداعك، وحاولت سرقة ما تملكه؟ هذا كاف ليفسد نظرتك إلى الحياة».

- لا عائلة لدي، غرايس!

ظهرت التماعة خطيرة في عينيه، كأنه يحذرها من التحدث في هذا الموضوع. تنفست بعمق وهي تحدق بالأرض، متسائلة ماذا ستفعل الآن. قالت: «اسمع! أنا ممتنة جداً لك لمحاولتك اكتشاف ما حدث. لا بد أنك غاضب جداً مني».

قطع رافايل المسافة بينهما بسرعة. أجبرت غرايس نفسها على مواجهة غضبه، على الرغم من أن ركبتيها ترتجفان من شدة التوتر.

- أفهمك. يحق لك أن تغضب، فقد سببت لفلومينا وكارلوس خسارة تبلغ آلاف الدولارات.

عقد حاجبيه، وقال: «أنا غاضب لأنك لم تخبريني بذلك من قبل. أما كارلوس وفلومينا، فسأعمل على التعويض عليهما بطريقة خفية، لأنهما فخوران جداً بعائلتهما ويعملهما».

- لكنني أخبرتك أنني لم أسرق المال.

تمتمت غرايس بذلك في محاولة ضعيفة للدفاع عن نفسها، لكن الكلمات تاهت بين فمها وحلقها، وهو يحدق بها بغضب.

- لا شك أنك توافقين على أن الأدلة لم تكن أبداً لصالحك؟

WWW.HAMSATREWAIA.COM JEWELRY

عضت على شفتها قبل أن تجيب: «توقعت أن تثق بي».

- ولماذا عليّ أن أفعل أمراً كهذا؟

اقترب رافايل منها أكثر، وأنار الخطر عينيه السوداوين، وهو يتابع: «أنا لست مثلك، غرايس! أنا لا أثق بالأشخاص الذين لا أعرفهم، ولا أثق بأولئك الذين أعرفهم. في الواقع، أنا لا أثق بأي شخص كان، لا سيما عندما تشير الدلائل إلى أنه مذنب».

ضج الهواء بالانفعالات المكبوتة؛ غضب، يأس، وشيء ما أكثر قوة... راح الانجذاب يتلوى بينهما...

قالت غرايس بنبرة قاسية، محاولة تجاهل الحرارة المفاجئة التي سيطرت عليها: «سمعت ذلك عنك. من الصعب ألاّ أفعل، لأن الصحف مليئة بالأخبار التي تتحدث عن قسوتك وكم أنت رجل سيء».

ظهرت ابتسامة خالية من أي مرح على وجهه، ثم قال: «مع ذلك، اخترت القدوم. قطعت هذه المسافة لتحاولي إقناعي بتمديد القرض. أما علمت أنني سأسألك أسئلة صعبة جداً تتعلق بالأرقام؟».

ابتسمت بخجل، وأجابت: «أملت أن تكون أسئلتك هي تلك التي حفظت أجوبتها عن ظهر قلب».

هز رأسه، ومرر أصابعه بشعره غير مصدق ما يحدث معه: «رجال الأعمال ذوو الخبرة يفكرون مرتين قبل أن يتحدثوا بالأرقام معي، مع ذلك أتيت إلى عرين الأسد كالحمل الوديع مقدمة نفسك للتضحية».

شعرت غرايس بقلبها يدق بعنف في صدرها. هزت رأسها، وقالت مخطوفة الأنفاس: «عرفت منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها أن هناك الكثير من الصفات الجيدة فيك، وعلمت أن الصحف تكذب».

تراجع رافايل إلى الوراء مبتعداً عنها، فشعرت بانسحابه. قال بنبرة قاسية بل عدائية: «لا تفعلي ذلك، غرايس!».

هو مصمم على أن يبقيها على مسافة منه. ربما هذا ما يريده

بالتحديد، لأنه استدار مبتعداً، وهو يتابع: «لا تسبغي عليّ فضائل غير موجودة، ولا تثقي بأناس لا يستحقون ثقتك. ارتكبت هذه الغلطة مع والدك وعصابته الصغيرة، وفعلت ذلك معي أيضاً مساء البارحة».

- لا أعتبر عناقنا مساء البارحة غلطة.

- أحقاً؟

نظر إليها، وعيناه تشعان بالقسوة وفمه حازم. تابع: «مع ذلك لم تسمعي الكلمات التي أردت أن تسمعيها. أليس كذلك؟ لم تسمعي كلمات الحب واللطف. لم تسمعي وعوداً أو حديثاً عن المستقبل معاً. هل أنت قادرة على الاعتراف بذلك؟

شعرت بقلبها يدق كالمطرقة في صدرها وهي تجيب: «نعم».

هي لن تعترف له بأنها تحبه. أليس كذلك؟ اقترب منها رافايل، وهذه المرة أحاطها بذراعيه، كأنه يريد التأكد أنها تنتبه لكل ما يقوله: «اعتقدت أنك مذنبة، غرايس. لكنني لم أهتم لذلك لأن كل ما أردته هو معانقتك والتقرب منك».

لم تجفل غرايس من شدة تحديقه، بل قالت: «هل تحاول أن تسبب لي صدمة ما؟».

ضغط بشدة بأصابعه على ذراعيها، وتابع: «أحاول أن أذكرك من أنا، كي لا ترتكبي أي خطأ جديد».

قالت غرايس: «ليس هناك من خطأ، رافايل. صحيح أنني ارتكبت الكثير من الأخطاء، لكن عناقنا البارحة ليس واحداً منها».

- أنت تخدعين نفسك. أنا لست... رجلاً سهلاً.

قالت هامسة: «يسعدني أنك لست كذلك».

تردد رافايل للحظة، ورأت ناراً في عينيه تكاد تحرقهما معاً. بعدئذٍ ضمها بقوة إليه، وعانقها.

WWW.HARLEQUIN.COM

٦ - لا! لست ملاكاً

شعر رافايل بالذهول والتشتت وهو يحاول استعادة أنفاسه. أجبر نفسه على الاعتراف أنه غير قادر على التركيز على أي شيء مطلقاً عندما تكون غرايس بمثل هذا القرب منه. أبعد يديه عن خصرها بتردد، وترك يديه تسقطان إلى جنبيه. ضغط على أسنانه، إذ شعر أنه يريد أن أن يضمها من جديد بين ذراعيه ويعانقها، وهذا الرغبة المفاجئة أذهلته وفاجأته.

للحظة لم تتكلم غرايس. وقفت بخجل، غير متأكدة أن ساقيها قادرتان على حملها. بعدئذٍ قالت بنبرة مرتجفة، وهي تبتسم: «يجب أن أرحل».

قطب رافايل جبينه مستغرباً، وسألها: «ترحلين... إلى أين؟».

- إلى بلادي. هناك أمور عليّ القيام بها، وأنت عليك أن تعود إلى حياتك السابقة.

حدق بها غير مصدق ما قالته.

- تشاركنا بعناق حميم للتو، والآن تريدين الرحيل عني؟

مررت غرايس يديها على قميصها لتخفف من ارتجافها وتوترها، ثم قالت: «اعتقدت أن هذا ما تريده، رافايل. لا ارتباطات».

سار رافايل نحوها، وهو يقول: «لن أدعك ترحلين».

الاستغراب الذي ظهر في عينيها لم يبدُ أقل من استغرابه. أضاف بسرعة: «ليس الآن، أقصد... لن أدعك ترحلين الآن».

جالت نظراتها على وجهه للحظة، قبل أن تنظر بعيداً، وتقول: «عليّ الرحيل. أنت تعلم ذلك. هناك ملايين القضايا بانتظاري، وعليّ معالجتها. عملي ينهار وأبي يخدعني. أنا بحاجة إلى مواجهته بالأمر، وبعد ذلك عليّ إيجاد شخص ما لمساعدتي كي أفهم الأرقام».

الظلال السوداء تحت عينيها والارتجاف الواضح في نبرة صوتها رفعت توتره الشديد إلى أعلى مستوياته. وشعر بانفجار بركان من الغضب من والدها لأنه سبب لها الألم.

- لن أدعك تتعاملين مع هذه المسائل كلها بمفردك.

- لا بأس! أنا حقاً أقوى مما أبدو عليه.

حدق رافايل بملامحها الشاحبة، ولم يكن هناك أي أثر للسخرية في نظرته. قال: «هذا ما أتمناه من كل قلبي، لأنه يبدو لي أنك ستطيرين مع أول نفخة ريح. لو لم أرك بالفعل تخوضين غمار الأدغال، لاعتقدت أنك هشة كالزجاج».

- أنا لست هشة، رافايل! أعتقد أنني برهنت لك ذلك.

حدقت بعينيه بجرأة، فعلم أنها تتوق إليه تماماً كما يتوق إليها.

قطب رافايل جبينه، وفكر بصوت عال: «لا فكرة لديك عمن تستطيعين الوثوق به في شركتك».

رفعت غرايس كتفيها، وأجابت: «هذا صحيح. كل ما عليّ القيام به هو أن أطور بأسرع ما يمكنني القدرة على الشك وعدم الثقة بالآخرين في شخصيتي».

- كلانا نعلم أن لا وجود لهذه الصفات في شخصيتك، فأنت تثقين بكل إنسان.

- هذا المرة سأوظف شخصاً غريباً، لديه مؤهلات وسمعة جيدة.

لم تعجبه فكرة أن يجلس رجل ما قربها، ليعطيها نصيحة قد تكون بلا فائدة. قال: «أنا سأفعل ذلك».

WWW.HASATRE WAIY4.COM JEWELRY

- عذراً؟

- ابقي معي، وسأساعدك في حلّ مشاكلك المادية. لماذا لم أفكر بالأمر من قبل؟ إنه الحل الأمثل.

شعر بالرضى لأنه استعاد السيطرة على الوضع، لكنه عبس عندما رآها تهز رأسها من جديد.

- لا! هذا أمر مرفوض. أنا لست بحاجة إلى مساعدتك.

نظر إليها رافايل غير مصدق، وهو يسأل: «هل ترفضين مساعدتي؟».

تورد وجه غرايس، وأجابت: «يمكنني أن أقوم بذلك بنفسي. هذا ما يجب أن أفعله. على أي حال، لماذا أنت قادر على القيام بالعمل بطريقة أفضل مني؟».

- لأن لدي خبرة كبيرة مع الكاذبين والمخادعين، وأنتِ لا خبرة لديك مطلقاً بمثل هؤلاء.

سمعت عناداً في نبرة صوته، وما لبث أن أردف، كأنه أراد أن تفهمه جيداً: «دعيني أفسر ما الذي أحاول قوله؛ إنني أقدم لك المال الذي قد تحتاجينه لتتمكني من الاستمرار في عملك، وأنظم لك حساباتك، بعد ذلك سأعيّن شخصاً من فريق عملي للاهتمام بالأعباء المالية».

- هذا كرم من جانبك، لكنني لا أريد مالك. كما أنني متأكدة أن لديك أموراً كثيرة تقوم بها خلال وقتك الثمين بدلاً من مساعدتي على فهم الحسابات. ستجد الأمر محبطاً بالفعل.

وجد رافايل نفسه ضائعاً. لم يقابل يوماً امرأة لا تريد المال منه. قال بسرعة: «أريد مساعدتك. لأنك بحاجة إلى معرفة الحقائق بشكل مباشر من أجل مواجهة والدك وإبعاده عن الشركة».

عضت على شفتها ونظرت إليه متابعة: «هذا صحيح. هل ستساعدني في فهم الحسابات؟ لكن لابد أنك منشغل جداً، فأنت دائماً

مسمر أمام شاشة الكومبيوتر».

أجابها كاذباً: «عملي ليس ضاغطاً في الوقت الحالي، وسأكون سعيداً بمراجعة حسابات شركتك معك».

كما أنه سيتأكد من حصولها على أجر منصف أيضاً.

- إنني مثيرة للغضب لمن يعلّمني، كما أنني مرعبة مع الأرقام.

رفع رافايل كتفيه بلا اكتراث، وقال: «إنني لامع في الأرقام، لذا لا أهمية لذلك. كل ما عليك فعله هو أن تخبريني عن أفضل الوسائل لتتمكن من المضي قُدماً، وهكذا تفهمين ما أقوله».

تورد وجهها، وقالت: «آه! لم يهتم والدي مطلقاً بذلك. كان يخبرني بنتائج الحسابات بسرعة، ويمضي».

- وكانت كلها ملفقة وغير صحيحة.

قاوم الإحساس بأن يضرب قبضته بشيء ما. دفعها نحو الطاولة، قائلاً: «اجلسي! سأعلمك كيفية قراءة الحسابات واستيعابها».

قالت غرايس بتردد: «ستغادر طائرتي مدينة ريو دي جنيرو بعد أربع ساعات».

أكد لها على الفور: «لن تكوني على متنها، فأنا لا أريدك أن تغادري. لا أريد أن ينجو والدك بفعلته».

حدقت به بامتنان: «لا، بالطبع! فأنت تهتم كثيراً لكارلوس وفلومينا».

وجد رافايل نفسه أسير نظرة عينيها الزرقاوين الجميلتين، حتى إنه لم يستطع أن يجيب على الفور. قال أخيراً: «أجل، كارلوس وفلومينا».

- أنت تحبهما حقاً وهما يحبانك. رأيت ذلك على الفور. أنا آسفة جداً لأنني سببت لهما الأذى.

سمع نبرة من الحزن في صوتها. لن تبكي، أليس كذلك؟ حتى الآن

WWW.HMASATRE WIYA.COM JEWELRY

هي المرأة الوحيدة التي لم تلجأ إلى النوبات الأنثوية وهي برفقته.

- هذا صحيح. لست بحاجة إلى القلق بشأن ذلك بعد الآن، لأن الأمور ستجري على ما يرام.

أضاف بسرعة: «عندما يحين موعد رحيلك يمكنك استعمال إحدى طائراتي الخاصة».

ما إن حدق بالغمازة الصغيرة التي تحركت عند زاوية فمها، حتى وعد نفسه أن ذلك لن يحدث في وقت قريب.

- هذا غاية في اللطف منك.

شعر رافايل بإحساس غريب من الضيق. مرر أصابعه في شعره، ثم قال: «لنبدأ بمراجعة الحسابات».

بعد مرور ثلاث ساعات، تراجعت غرايس إلى الوراء على كرسيها، وزفرت نفساً طويلاً. ابتسمت له، وقالت: «حسناً! أنت محق في ما قلته، أنت لامع فعلاً في الحسابات، كما أنك بارع في التعليم».

لأول مرة في حياتها لم تشعر كأن رأسها سينفجر، كما أنها لم تشعر أنها فاشلة باستيعاب هذه الأمور.

وضع رافايل جانباً القلم الأحمر اللون الذي كان يستعمله ليبرهن بعض النقاط. هز رأسه، وتراجع على كرسيه. رأت غرايس لمعان شعره تحت أشعة شمس بعد الظهر، كما أن البرودة في عينيه حل مكانها الدفء والاهتمام: «تمكنت من إدارة عمل ناجح بالرغم من مشاكلك الواضحة مع الأرقام. هذا مذهل».

- كيف يمكنك قول ذلك؟ لم أعطك أية أرباح، وبسببي خسر كارلوس وزوجته الكثير من المال.

عادت البرودة القاسية لتسكن عينيه من جديد، وهو يقول: «هذا ليس ذنبك، بل ذنب من عملوا معك».

ابتسم بثقة وتابع: «لكن هذا أصبح من الماضي. من الآن وصاعداً، سأختار بنفسي من سيعمل معك».

عاد لينظر إلى حسابات شركتها، ويقلب الصفحات، وهو يهز رأسه غير مصدق: «عملك في المقاهي مذهل. لو لم يسرق والدك الأرباح التي كنت تجنينها، لكانت لديك الآن نسبة ضخمة جداً من الأرباح».

لم تستطع غرايس مقاومة ممازحته: «ولكنت جعلت منك رجلاً ثرياً».

رفع رافايل نظره إليها، وعلت ملامح غريبة وجهه الوسيم. قال: «لو أن الكثير من أمثالك يعملون لدي، لغدت حياتي أكثر سهولة. كيف تمكنت من جعل المقاهي مليئة بالزبائن؟».

رفعت كتفيها وهي تجيب: «أنا ماهرة في ابتكار الأفكار الجديدة، لكنني فاشلة في الأمور المالية، ومن المحتمل أنني سأبقى كذلك. أنا أرى الصورة كاملة، وأعلم ماذا يريد الناس، لهذا كنت ماهرة بجذب الزبائن إلى المقاهي».

- لا تتحدثي عن هذا الأمر بصيغة الماضي.

- أنت على حق! عليّ الآن الخروج من الفوضى ومن المأزق الذي أوقعت نفسي فيه.

- لم يعد هناك أية فوضى، كما أن مشاكلك قد حُلت، فالوكيل لم يعد في الشركة.

تفاجأت غرايس من تلك المعلومة، فحدقت به بعينين واسعتين: «كيف يمكنك التأكد مما تقوله؟».

- أقنعته بالبحث عن عمل بديل على وجه السرعة.

- هذا يعني أنه لم يبقَ غير والدي.

تراجع رافايل على كرسيه، وقال: «بالطبع! ما زال عليّ التعامل معه، لكن كل شيء آخر تمت معالجته. الرجل الذي أصبح الآن

WWW.HAMSATREWIYA.COM JEWELRY

مسؤولاً عن الموارد المالية في شركتك ذكي، ويسهل التعامل معه. يمكنك أن تسأليه أي شيء، وإن رماك بنظرة واحدة نافدة الصبر، أخبريني وسأطرده».

فابتسمت له، وقالت: «شكراً لك».

- هو من سيعمل على شراء البن لك في المستقبل.

- لدي بعض الأفكار بشأن ذلك.

- تفضلي!

- أريد التوقف عن التعامل مع فريق ثالث، والشراء مباشرة من كارلوس وفلومينا من الفازيندا، وهكذا يصل المال مباشرة إليهما. أريد أن أتعامل معهما بنفسي، لتصبح بيننا علاقة ود وصداقة. بهذه الطريقة، إن كانت هناك مشاكل في الإنتاج سأكون أول من يعلم، وإذا كان لديهما أي شك بطريقة عملي، بإمكانهما إخباري.

- حسناً!

فجأة شعرت غرايس بضيق لم تستطع فهمه، فوقفت، وبدأت بالسير عبر الغرفة بخطى واسعة. قالت: «سأقدم على إعطاء نسبة من أرباحنا إلى مراكز تهتم بحماية الغابات الاستوائية. أعلم أن ذلك سيقلل نسبة أرباحنا، لكن الخطوة ليست مأساوية، فمعظم الزبائن هذه الأيام يهتمون بحماية البيئة، لذا أعتقد أنهم سيعجبون بفكرة أن ثمن القهوة التي يشربونها يساعد في حماية الغابات».

ساد صمت طويل بينهما، قطعه رافايل متسائلاً: «لماذا تتجولين في الغرفة عندما تتوترين؟ هذا ما فعلته في اليوم الأول عندما كنت تحاولين إقناعي بتمديد مدة القرض».

- أجد الجلوس محبطاً جداً. ربما لأنه يذكرني بأيام المدرسة. إذاً أخبرني ما رأيك؟

ابتسم لها بصبر وقال: «أعتقد أنك لن تصبحي أبداً ثرية، بما أنك

مستعدة لرمي المال بهذه السهولة».

قطبت جبينها للحظة، وأجابت: «أجل، حسناً، لكن ليس المال دائماً هو الأهم، أليس كذلك؟».

- ربما لا. أنت امرأة غير اعتيادية أبداً.

نظرته أثارت ارتباكها، فنظرت إلى البعيد قائلة: «أتقصد أنني لا أستطيع إجراء عملية حسابية؟».

نهض رافايل على الفور، وسار نحوها والضحك واضح في عينيه، وهو يتابع: «لا أهتم إن كنت قادرة على الجمع أم لا، كما أنني اكتفيت من التحدث عن عملك. ما رأيك الآن بأن نذهب للسباحة قبل أن تقدم ماريا العشاء؟».

* * *

سارا عبر الممر الموصل إلى البركة. توقفت غرايس ما إن رأت شرائط حمراء اللون معقودة على الأشجار. سألت: «لماذا وضعت هذه الشرائط؟».

- لأجلك. طلبت من أحد العمال أن يضع علامات على الممر المتجه إلى البركة، وهكذا لن يكون هناك أي مجال لتضيعي من جديد، فأنت ستتبعين الشرائط.

شعرت غرايس بغصة في حلقها تكاد تخنقها. قالت بتأثر شديد: «هل فعلت هذا كله لأجلي؟».

نظر رافايل إليها للحظة، ثم رفع كتفيه، وأجاب بتفاخره المعهود: «بدا لي أن هذه الطريقة أسهل من اقتفاء أثرك عبر الأدغال».

لم تستطع أن تخفي السعادة الطاغية في أعماقها. رافايل فكر بما تحتاجه، وبما يمكن أن يساعدها!

وجدت غرايس البركة باردة ومنعشة بشكل لا يقاوم، غاصت في المياه وهي تئن برضى وتقدير.

WWW.HMASATRE-WEB.COM

– ليتني أستطيع نقل هذه البركة معي إلى لندن.

سألها رافايل: «لماذا تريدين القيام بذلك؟».

راقبته وهو يغطس في الماء بجسده الرياضي القوي. شعرت بوجهها يتوهج من الخجل، وأجابت: «لأنني أحبها».

شهقت ما إن شعرت به قربها، وعيناه تلمعان بشيء لم تستطع تحديده. قال: «إذاً، ابقي هنا في الغابة».

تابع بصوت حميم: «كل أنواع الحيوانات المفترسة موجودة في هذه البركة، وعليك أن تتوخي الحذر».

رفعت غرايس رأسها إليه، وهي تقول: «أحقاً ما تقوله؟».

علمت أن من الجنون أن تسمح لنفسها بالاقتراب منه أكثر، لكن كيف تستطيع أن تمنع نفسها؟ تأوهت ما إن لامست يداه ذراعيها. تمتمت: «رافايل!».

عانقها رافايل ببطء وهو يمسك بها جيداً ليبقيها فوق سطح الماء. بعد مرور لحظات، قال وهو يبعد شعرها الرطب عن وجهها بيد ناعمة: «لن تغادري هذا المكان في وقت قريب».

بالكاد تمكنت غرايس من التركيز على ما يقوله. فتحت عينيها ونظرت إليه. هل يهتم لأمرها؟ بالطبع، يهتم، وإلا لما شعر بمثل هذا الشوق نحوها. موقفه تبدل نحوها، وهي تشعر بذلك. أصبح أكثر لطفاً ورقة. كما أنهما يتشاركان أحاسيس رائعة معاً. أتراها تجرؤ على الأمل بأن يكون لديهما مستقبل معاً؟

* * *

راقب رافايل غرايس وهو يقطب جبينه. لماذا يذهله كل ما يتعلق بها؟ ولماذا لم يتبدل إحساسه بالشوق نحوها؟ وصل بسرعة إلى الاستنتاج أنه أصبح مدمناً على البقاء مع غرايس تاكر. لاحظ الظلال الخفيفة تحت عينيها، فعبس وسألها: «هل أنت متعبة؟».

وضعت كوبها، والتقطت الشوكة، ثم أخذت القليل من الطبق الذي وضعته ماريا أمامها. تابعت: «أنا أشعر بالقلق، إن أردت الصدق».

مال إلى الأمام، وسألها باهتمام: «ما الذي يقلقك؟ أخبريني، وسأحل كل مشاكلك!».

– إنه والدي.

– سأتعامل معه بنفسي.

– لا أريدك أن تفعل، فهذه ليست مشكلتك. ليست فكرة مواجهته ما يزعجني، بل كل شيء آخر. أعتقد أنني غاضبة ومنزعجة جداً.

– لماذا؟ فعملك سيصبح ناجحاً جداً.

– الأمر لا يتعلق بالعمل فقط.

حدق رافايل بها، محاولاً أن يرى ما الذي فاته. ابتسمت له غرايس: «قد يبدو ما أقوله غريباً، لكنني أشعر كأنني فقدت والدي. من الواضح أنه لم يهتم بي يوماً، لكن من الصعب جداً تقبل ذلك. أمضيت حياتي كلها وأنا أحاول إسعاده وجعله يشعر بالفخر بي، لكن من الواضح أنه لم يردني أن أنجح يوماً. يصعب علي تقبل هذا الأمر».

حدق بها وقال: «لماذا؟ هذا يظهر حقيقة والدك وكل ما يتعلق به، ولا علاقة لك بذلك».

حركت غرايس الطعام بشوكتها، وقالت: «في الواقع، الأمر ليس بهذه السهولة».

تنهد رافايل، وعلق: «يجب ألاّ تضعي ثقتك بالناس. من الأفضل أن تعتمدي على نفسك».

– هذا ما أفعله، وما فعلته دائماً.

أبعدت نظرها عنه، وتابعت: «لكن ما نفع الحياة إن كانت بدون حب؟».

شعر رافايل بالضيق بسبب هذا الحديث. مدّ يده وسكب بعض

WWW.HAMSATREWAYA.COM

الطعام في طبقها، ملاحظاً أنها لم تأكل الكثير.

- انسي ذلك، الآن. أنتِ بحاجة لأن تصبحي أقوى وأقسى، وأن تتعلمي عدم الثقة بكل الناس.

مدّت غرايس يدها لتمنعه من ملء طبقها، فقالت: «لا تسكب لي المزيد، فأنا لا أشعر بالجوع. كما أنني لست متأكدة أنني أريد أن أكون أقوى وأقسى، فأنا لا أريد عيش الحياة بلا أحاسيس».

أكدّ لها رافايل قائلاً: «صدقيني! هكذا تغدو الحياة أسهل».

رفعت عينيها إلى عينيه، وسألته: «هل سببت لك الأذى حقاً؟ أقصد زوجتك السابقة».

شعر رافايل بالتوتر رافضاً سؤالها المتعلق بحياته الشخصية، لكنه قال لنفسه إن الحديث عن فشل الآخرين قد يساعدها في تقبل الأزمة التي تواجهها. أجابها: «لا! لم تسبب لي الأذى».

مضى وقت طويل جداً على الزمن الذي كان يسمح فيه لامرأة أن تسبب له الأذى، لكن لا رغبة لديه مطلقاً في البوح لها بهذه الأسرار.

- هل كنت تحبها؟

رفع حاجبه بسخرية، وسألها: «وما رأيك أنت؟».

- حسناً! أعلم أنك تدعي عدم الإيمان بالحب، لكنك تزوجت بها. وشهرتك قائمة على تجنب الارتباط، لذا لابد من وجود سبب للزواج.

- السبب هو أنها قالت لي إنها حامل.

وضعت غرايس شوكتها على طبقها، وقالت: «آه! الهذا تزوجت بها؟».

- أجل.

- ما الذي حدث؟ أقصد... أعلم أنه ليس لديك طفل.

قالت ذلك متلعثمة، ثم أردفت: «إذا كان الحديث يحزنك، فلنبدل الموضوع. آسفة! ما كان علي أن أسأل».

جاءت نبرة رافايل أقسى مما رغب: «أنا لا أبكي على ما جرى، غرايس! لم يكن هناك طفل».

- هل أجهضت؟

حدق بها متأملاً، فيما راوده إحساس من الذهول وعدم التصديق، فما تشعر به يظهر جلياً على ملامحها، وينعكس في وجهها.

- لم يكن هناك طفل لتخسره.

سمعت صوته قاسياً، ورأت كيف أصبحت عقد أصابعه بيضاء، وهو يمسك بكوبه.

أجبر نفسه على إرخاء قبضته، ثم نظر إلى وجهها المصدوم، فابتسم وتابع: «أرأيت، غرايس تاكر؟ حتى أكثر الناس سخرية يمكن تضليلهم وخداعهم».

- هل كذبت عليك من أجل إقناعك بالزواج منها؟

لمعت عيناها بشيء من التعاطف وشيء آخر أكثر رقة ونعومة، طاف فوق أعصابه المشدودة، وخفف عنه ألمه كالبلسم. سألته: «هل أحبتك إلى هذه الدرجة؟».

وصل رافايل بسرعة إلى الاستنتاج المؤكد: إن عقل غرايس تاكر يعمل بطريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي تعمل بها عقول معظم الناس، فقال بعصبية: «هي لم تحبني مطلقاً».

- لكن، إن أقدمت...

- ...على الزواج من بليونير، فلا بد أنها ستحصل على تعويضات محددة من جراء ذلك.

استسلم رافايل لقول الحقيقة، فتابع: «منها الحصول على دخل كامل طوال الحياة».

- أتعتقد أنها تزوجت بك من أجل مالك؟

- بل أعلم أنها تزوجت بي من أجل مالي.

WWW.LAMISATREWARA.COM JEWELRY

راقبها عن كثب عبر الطاولة، وتساءل، أهي حقاً بهذه السذاجة؟

- أهذا كل ما تعتقد أنك قادر على تقديمه للمرأة... المال؟

بدت غرايس مصدومة بالفعل، فسمع بنفسه مرارة ضحكته، وهو يجيبها: «لا! أنا ماهر في العلاقات الغرامية أيضاً».

لاحظ كيف تورد وجهها، لكنه تابع: «بعد أن أنهيتُ العلاقة بيننا، وأعطيتها المال الذي عملت جاهدة للحصول عليه، أوضحت أنها مستعدة للاستمرار بعلاقتنا، بعد أن باعت قصتها إلى الصحف».

- هل تحدثت إلى الصحف بهذا الشأن؟

لم يزعج رافايل نفسه بإبعاد المرارة عن نبرة صوته، وهو يقول: «جميعهن يتحدثن إلى الصحف، وهذا مصدر آخر لجني المال بالنسبة لصديقاتي السابقات وزوجتي السابقة. يمكنك أن تسمي ذلك استثماراً جانبياً، فما إن ينتهينَ من الاستفادة مني بشكل مباشر، حتى يتابعن الاستفادة من نشر أخبار العلاقة عبر الصحف».

ساد الصمت لفترة بينهما، وعندما وضعت غرايس شوكتها جانباً، بدا من الواضح أنها تخلت عن فكرة تناول الطعام. قالت بنبرة: «حسناً! تبدو زوجتك السابقة امرأة مميزة جداً. ربما علينا أن نعرفها على والدي. على الأرجح أن بإمكانهما فهم بعضهما البعض. لكن... تلك كانت علاقة واحدة، رافايل. ألم تشعر بالرغبة لتحاول من جديد».

- أتعنين الزواج؟ لا! أما العلاقات مع النساء، فبلى... بالطبع!

- حسناً! أعلم أن لديك الكثير من العلاقات الغرامية، فهذا ما تكتبه الصحف عنك. لكنني لا أتحدث عن العلاقات الغرامية أو عن الزواج، أنا أتحدث عن الحب.

- لا تحدثيني بشأن الحب، غرايس. لا تتحدثي معي مطلقاً عن الحب!

راقب إجفالها، لكنه تابع: «كل العلاقات قائمة على الجشع

المتبادل. شخص ما يملك ما يريده الشخص الآخر».

- ليس الجميع مثل زوجتك السابقة.

- العالم مليء بأناس يشبهون تماماً زوجتي السابقة.

- هل تصدق ذلك حقاً؟

فجأة سمع رافايل الحماس والاهتمام في نبرة صوتها، ولاحظ أن عينيها تلمعان بشيء قريب جداً من الانزعاج.

- أنت رجل فائق الذكاء، رافايل! هل ستسمح لبعض النساء الجشعات أن يشوهن نظرتك للمرأة؟

الأمر لا يتعلق فقط ببعض النساء الجشعات؛ شيء مظلم ومؤلم مزق أعماقه، فتوتر على الفور لأنه أجبر على مواجهة الأعماق المظلمة في روحه، تلك الأعماق التي يحاول جاهداً تجاهلها. وجد نفسه أمام اتهامها الواضح، وفجأة شعر بالرغبة بأن يبوح لها بتلك الأسرار التي يخفيها عن الجميع. ذُهل من الرغبة القوية لديه في الاعتراف، في حين أن الاعتراف أمر غريب عنه، فضغط على فمه ليبقى صامتاً. لماذا يهتم بما تفكر به غرايس، في حين أن آراء الآخرين هي دائماً موضوع سخرية وعدم اهتمام بالنسبة له؟ أدرك فجأة أنها تحدق فيه من جديد، لكنه رفض أن يشعر تجاهها بأكثر من الانجذاب الحسي.

- ماذا كان سؤالك؟ هل أسمح لنساء جشعات أن يشوهن نظرتي للمرأة؟ الجواب هو نعم، غرايس.

رفع كوبه في الهواء باتجاهها، غير قادر على إبعاد السخرية من نظرة عينيه وهو يتابع: «أعتقد أن هذا ما أنا عليه، ولا تشعري بالأسف لأجلي، لأنني سيء مثلهن. أنا أبقي المرأة قربي مادامت مفيدة لي. ربما من الأفضل أن تتذكري ذلك، وتهربي مادمت قادرة على ذلك».

تنهدت غرايس، وهي تقول: «لن أهرب إلى أي مكان. أعتقد أنك مخطئ تماماً بشأن نفسك، فهناك الكثير من الأمور الرائعة فيك».

WWW.HAMSAFREEMAGAZINE.COM

فكر بقسوة، إنها فعلاً متفائلة وبشكل مثير للضحك. لا عجب أنها تعرضت للكثير من الأذى في حياتها.

- لا، غرايس! ليس هناك ما تقولينه. لماذا تعتقدينني اخترت أن أمضي قسماً كبيراً من وقتي في الغابات الاستوائية؟

- حسناً! إنها مكان جميل جداً، لو أنني أملك مكاناً كهذا، فلن أقترب مطلقاً من المدينة.

توقفت عن الكلام، ثم تنهدت قائلة: «أنا أحاول أن أفهمك».

- لا أريدك أن تفهميني. اعتقدت أنني أوضحت لك ذلك.

- لكنني فعلاً أفهم... حسناً! جزءاً من ذلك على الأقل. أنت لم تلتقِ أية امرأة أرادتك لذاتك، ولما أنت عليه. أنا أعرف هذا الشعور، لأن هذا ما يحدث لي أيضاً. مع أنني لست قلقة من أن يرغب بي أحد من أجل مالي.

زفرت بارتياح، وابتسمت قائلة: «أعتقد أن الأمر أسهل عليّ».

قال رافايل بنعومة، وهو يراقبها: «وهو سهل عليّ أيضاً، فأنا أضع توقعاتي تماماً حيث أريدها، وأنت بحاجة لتفعلي الأمر نفسه. استعملي الناس بقدر ما يمكنك الاستفادة منهم».

ترددت غرايس للحظة، ثم جلست مستقيمة وقالت: «لا يمكنني القيام بذلك. لا يمكنك أن تغير الشخص الذي أنت عليه. أليس كذلك؟ أمضيت حياتي وأنا أرغب بأن يحبني الناس كما أنا. أمضيت حياتي وأنا أسعى لإسعاد الناس... كل الناس: المعلمين، والدي، وسواهم؛ لكن الأمر لم ينجح أبداً. كنت على الدوام أسبب خيبة الأمل للآخرين، وكانوا دائماً يشعرون بنفاد الصبر والاحباط معي. أنت وحدك كنت الاستثناء».

كره رافايل فكرة أن كل من حولها جعل حياتها تعيسة. قال وهو مقطب الجبين: «ماذا؟».

- أنت تعتقد أنك شخص قاسٍ وسيء، لكنك الشخص الأول والوحيد الذي أخذ وقتاً كافياً ليعلمني الأرقام من دون أن يفقد صبره. أمضيت طوال فترة بعد الظهر وأنت تعلم الحساب لشخص لا يمكن أن يفهمه، ولم تقدم مرة واحدة على النقر بأصابعك على الطاولة، أو تحدق بي بغضب أو تشدّ شعرك. لذا توقف عن التظاهر أنك شخص بارد، قاسٍ، وبلا رحمة، ومجرد آلة لصنع المال.

تفاجأ رافايل من وصفها لأفعاله. فكر للحظة، ثم قال: «أريدك أن تفهمي الأرقام والحسابات. هذه هي الطريقة الوحيدة التي ستجعلك قادرة على مناقشة والدك».

- صحيح. حسناً! قمت بذلك بطريقة جيدة جداً، لذا شكراً لك. أنت معلم جيد وصبور.

معلم جيد وصبور؟! تساءل ما الذي سيقوله فريق عمله لو سمع هذا التقييم لصفاته؟ مرر رافايل يده على مؤخرة عنقه، وفجأة صمم على جعلها تعرف عنه كل الحقائق.

- أنت مخطئة، غرايس! أنا شخص بارد، قاسٍ وبلا رحمة. أنا فعلاً مجرد آلة لصنع المال.

- لا! أنت لست كذلك. أنت تملك الكثير من المشاعر الإنسانية في أعماقك، لكنك لا تعرف أنها موجودة في داخلك، لأنك أمضيت حياتك مع أشخاص يحومون حولك كالطفيليين، وهم دائماً يريدون منك شيئاً ما.

تساءل رافايل، لماذا تراه لا يزال جالساً قبالتها، في حين أن موضوع النقاش أصبح بعيداً جداً عن منطقة الأمان التي يحرص على العيش ضمنها دائماً؟ نقر بأصابعه على الطاولة، وعلّق: «أنت تتحدثين بأمور لا تفهمينها، لأنك غاضبة ومنزعجة من والدك».

- ربما! على أي حال، حان الوقت لأواجه ما يجب عليّ القيام به.

WWW.HAMSATREYAH.COM JEWELRY

هلاّ طلبت من قائد طائرتك أن يعيدني إلى لندن غداً؟

شعر رافايل بالانزعاج من فكرة رحيلها. قطب جبينه، وقال: «عليّ الذهاب إلى لندن بعد أسبوعين لإنجاز عمل ما. بإمكانك أن تذهبي معي حينها، وسنذهب لرؤية والدك معاً».

هزت غرايس رأسها قائلة: «لا! هذا أمر أنا بحاجة للقيام به بنفسي، وعليّ أن أقوم به الآن. لا أريد الانتظار أكثر، فأنا غير قادرة على النوم من شدة القلق».

نقر رافايل بأصابعه على الطاولة، متسائلاً لماذا يجد طلبها مقلقاً. لم يشعر مرة في حياته كلها بالرغبة في حماية امرأة كما يشعر الآن. قال: «لن أدعك ترين والدك بمفردك».

- عليّ أن أفعل ذلك.

رفعت ذقنها بعناد، فضغط أسنانه معاً، وهو يفكر بكمية العمل التي تركها تتكدس بانتظاره. عملٌ تجاهله منذ اللحظة التي وصلت فيها غرايس تاكر، مرتدية ثياباً أنيقة وحذاء ذا كعب عالٍ، ومنذ أن حدقت به بعينيها الصافيتين، وشعرها الأشقر يحيط بوجهها كشلال من الذهب. وافق على مضض قائلاً: «حسناً! يمكنك العودة إلى لندن، لكن طائرتي ستبقى بانتظارك في المطار. سترين والدك، وتجرين النقاش الذي أنت بحاجة لإجرائه، ثم تعودين مباشرة إلى هنا».

لمعت عينا غرايس من الدهشة، وسألته: «هل تقصد ذلك فعلاً؟».

- بالطبع! أريدك أن تعودي إلى هنا.

٧ - حبك أنقذني!

حاولت غرايس ألاّ تتأثر بفخامة ورفاهية ما يحيط بها. جلست على مقعدها في طائرة رافايل الخاصة لتقوم برحلتها الطويلة من ريو دي جنيرو. حرص فريق عمله على مساعدتها كي تجلس بارتياح على الأريكة المصنوعة من الجلد وقدموا لها كوباً من العصير مع رزمة صغيرة ملفوفة بشكل متقن ومعها ملاحظة.

ارتجفت يداها، وهي تفتح الورقة أولاً. قرأت فيها: «لم تقبلي أي هدايا أو أموال مني، لكنني أتمنى أن تقبلي هذه».

تبين لها أن الرزمة تحتوي على آلة تسجيل صغيرة بما يكفي لتوضع في جيب بذلتها، ومعها سماعة توضع في الأذن. شعرت غرايس بالفضول والحيرة معاً من اختياره للهدية. أدارت آلة التسجيل، وسمعت صوت رافايل يختصر لها كل معلومة هامة في حساباتها؛ سجل لها كل المعلومات التي تحدثا عنها، وكل ما تحتاج إلى معرفته لمواجهة والدها. شعرت بالدموع الحارقة تخز عينيها، ما إن أدركت كم من الوقت احتاج ليسجل تلك المعلومات، وما الذي تعنيه مثل هذه المبادرة. ربما هو لا يحبها، لكنه بدون شك يهتم لأمرها. لابد أنه يهتم، وإلا لماذا يقدم على تحمل هذا العناء لمساعدتها؟ قررت أن تنهي الأمر مع والدها بسرعة، لتتمكن من العودة في أقرب فرصة ممكنة. حفظت كل معلومة في التسجيل، ثم نامت طوال الفترة المتبقية من الرحلة. عندما وصلت أخيراً إلى لندن، وجدت أن الظلام والضباب

WWW.LIILASAKERMAN-LOVELIBRARY.COM

يغطيان المدينة، فتمنت على الفور لو أنها تستطيع العودة مباشرة بالطائرة إلى الحياة التي تضج بالألوان في الغابات المطيرة.

ما إن غادرت الطائرة، حتى طُلب منها الدخول تحت حراسة شديدة إلى القسم الخاص بالشخصيات الهامة، فاستمتعت بما يحدث معها، لأنها غير مجبرة على شق طريقها بين حشود من المسافرين المتعبين. بعد قليل، شيء ما جذب انتباهها... صورة لها!

حدقت بقوة في الصفحة الأولى من الجريدة. للحظة وقفت جامدة، تحدق بصمت في صورتها، ثم تأوهت غير مصدقة ما ترى. خطفت الجريدة على الفور وهي تشعر بالرعب، وقرأت العنوان: «كورديرو يعيش قصة حب جديدة في الأدغال». «التفاصيل في الصفحة الرابعة».

شعرت غرايس بقلبها يضطرب في صدرها، فقلبت الصفحات على عجل، حتى وصلت إلى الصفحة التي تريدها:

«البرازيلي السيء السمعة والبليونير رافايل كورديرو يعيش قصة غرامية في الغابات مع سيدة الأعمال المفلسة الشقراء غرايس تاكر، التي تملك مقاهي برازيل، وهي سلسلة من المقاهي عبر لندن. يعيش كورديرو وحيداً منذ طلاقه المكلف من الممثلة آمبر نافرين، وعُرف عنه قوله «إن النساء مثل الثوم أكله شهي، لكنه يترك طعماً سيئاً في فمك في اليوم التالي»، والآن يبدو أنه يتراجع عن كلامه، إذ يقيم علاقة جديدة مع امرأة شقراء فاتنة هي غرايس تاكر. يقول والد غرايس، باتريك تاكر، إن غرايس تعاني من أزمة مادية، ولابد أنها تأمل بمساعدة مالية كبيرة من حبيبها الجديد...».

لم تعد غرايس قادرة على قراءة المزيد. وقفت للحظة، والرعب يلفها بموجات متلاحقة. باع والدها القصة إلى الصحف. لكن... أي قصة؟ ليس هناك من قصة. كل ما في الأمر أنها ذهبت لزيارة رافايل في الغابة الاستوائية، فماذا هناك ليقال؟ لاشيء.

شعرت بالغثيان، لكنها أجبرت نفسها على قراءة المقال بأكمله، ثم رمت الجريدة. طغى عليها إحساس من الغضب قوي كالنار المشتعلة. مسكين رافايل! هل يعتقد أن لها صلة بذلك؟ ربما، وربما لا. لكن، أليس هذا هو الأمر الذي يكرهه بشدة، وهو جزء من الأسباب التي جعلته ساخراً وفاقداً للثقة بالجميع؟ فكرة أنها شاركت في التسبب له بالألم -ولو من دون قصد منها- جعلتها تشعر بألم لا يوصف. سارت بعيداً عن المطار باتجاه سيارات الأجرة، ناسية أنه يفترض بها أن تقابل سائق رافايل في لندن. شعرت بالخدر بسبب اليأس، ولم تستطع أن تفكر بطريقة واضحة. دخلت إلى المقعد الخلفي في السيارة، وحاولت أن تفهم لماذا عمل والدها من جديد على إيذائها. فكرت، أنه هذه المرة نجح بما فعله أكثر مما يستطيع أن يتخيل.

علمت أن علاقتها برافايل انتهت. لابد لها أن تنتهي، فأي خيار آخر لديها؟ كيف تستطيع أن تعرضه لهذا النوع من التصرف الدنيء، وهي تعلم كم يسعى جاهداً للحفاظ على الخصوصية في حياته؟ ها قد أصبح اسمه على الصفحات الأولى من الصحف مجدداً. هي لن تكون قادرة أبداً على السيطرة على هذا الأمر. أليس كذلك؟ إن عادت إلى رافايل، سيجد والدها دائماً طريقة ما لجني المال على حسابهما. إنها تحب رافايل كثيراً، ولن تسمح بحدوث ذلك.

* * *

بعد مرور ثلاثة أيام، أخذ رافايل يسير بخطى واسعة في غرفة الجلوس في قصره الكبير، الواقع في أكثر الأماكن فخامة في لندن.

في العادة، الأزمات الخطيرة فقط قادرة على إبعاده عن الغابات الاستوائية، إن لم يرغب بذلك، لكنه هذه المرة لا يفكر أبداً بالعمل. إنه يفكر بغرايس. في اللحظة التي غادرت فيها، أدرك أنه أخطأ بالسماح لها بالرحيل. كيف تركها تواجه والدها بمفردها؟

WWW.HAMSAREMADE.COM JEWELRY

اتصل فوراً بفريق عمله في لندن، وأعطى التعليمات بإبقائها سالمة في منزله حتى وصوله، لكنه اكتشف أن أحداً لم يرها منذ وصولها إلى لندن. حاول السيطرة على طبعه المتقد غضباً. استدار من جديد باتجاه الرجل الواقف بقلق قرب مكتبه.

- أتقول لي حقاً إنها اختفت؟

رطب الرجل شفتيه قبل أن يجيب: «أجل، سيدي».

علق رافايل بنبرة هادئة، لكنها حاسمة بشكل مرعب: «لكنها طارت من ريو بطائرتي، إذاً متى فقدتها بالتحديد؟».

- لسنا متأكدين، سيدي. كانت تسير عبر المطار، وفجأة لم تعد هناك. اختفت.

أطلق رافايل شتيمة باللغة الإنكليزية، ثم عاد للتحدث بلغته الأم. ضرب الطاولة بقبضته، ثم رفع نظره بغضب، ما إن دخلت موظفة لديه إلى الغرفة وهي تحمل جريدة. قال: «ماذا الآن؟».

- اعتقدنا أن عليك رؤية هذه، سيدي!

ضاقت نظرة رافايل، وقال: «أنا لا أقرأ أخبار المشاهير، كما تعلمين».

تقدمت الفتاة نحوه، وقالت بنبرة قلقة: «أعلم ذلك، سيدي. لكنني اعتقدت أنك ترغب بقراءة هذه».

* * *

جلست غرايس في المتنزه الصغير المواجه مباشرة للمنزل المنعزل الذي يملكه والدها.

مرّ أسبوع منذ أن قرأت تلك القصة في الجريدة، ومنذ ذلك الوقت وهي تفكر بما يمكنها أن تفعله أو تقوله لتصلح الأمور بالنسبة لرافايل. في النهاية أرسلت له ملاحظة اعتذار قصيرة، وحاولت ألاّ تفكر برفاهية الطائرة الخاصة التي هي الآن في طريق العودة إلى الريو. وجدت أنها

منزعجة جداً وغير قادرة على رؤية والدها، فقررت أن تحجز في فندق بسيط في لندن بدلاً من العودة إلى شقتها. أمضت الأسبوع بأكمله تحدق في السقف في غرفتها الصغيرة، محاولة أن تستجمع شجاعتها وتقرر ما الذي ستفعله. انتهى كل شيء! هذا أمر مخيب للأمل، لكنه سيحدث في وقت ما، على أي حال. أليس كذلك؟ رافايل لا يحبها، لذا سوف يضع حداً نهائياً للقائهما الرومنسي.

أخيراً خفّ شعورها بالبؤس، وحل مكانه غضب شديد من والدها لأنه سبب الأذى لرافايل.

فكرت بخدر وهي تجلس على مقعد في المتنزه، تراقب أماً تدفع طفلها على عربة صغيرة، أنه لأمر مضحك. منذ أسبوعين فقط لم تكن قد التقت بعد برافايل، الرجل الذي تحاول الآن جاهدة أن تجد طريقة للاستمرار في الحياة بدونه.

هذا ما سوف تفعله بالطبع! سوف تتابع حياتها، وتنجح. لكنها لن تفعل ذلك قبل أن تتكلم مع والدها. لأول مرة في حياتها ستتحدث مع والدها، وتخبره بما تشعر به. عليها أن تفعل ذلك، فالغضب والألم يغليان في أعماقها، وهي لا تدري ماذا عليها أن تفعل لتتخلص منهما.

تنهدت غرايس، وهي تشعر بالخوف والاستسلام معاً، لأنها تكره المواجهة. وقفت، وسارت عبر المتنزه، ثم قطعت الطريق متجهة نحو منزل والدها.

ما إن فتحت الباب، حتى ظهرت دايزي، العاملة في منزل والدها. قالت المرأة: «آه! آنسة تاكر. أين كنت؟».

بدت قلقة ومضطربة، وهي تتابع: «والدك قلق جداً عليك».

قلق؟! بشأن ماذا؟ ألأنه تم أخيراً اكتشاف ما فعله؟ شعرت غرايس بألم عميق يتفتح في أعماقها. سألت: «هل هو هنا؟».

- حسناً! نعم، إنه هنا، لكن لديه زائر.

WWW.EMMASAREWAYA.COM

نظرت دايزي بقلق من فوق كتفها نحو المكتب، وتابعت: «ربما عليك الانتظار هنا حتى أخبره بقدومك».

سمعت غرايس أصواتاً مرتفعة، فشعرت بمعدتها تتلوى من الألم. تذكرت المقالة في الصحيفة، فعاودها الغضب من جديد. إنه الوقت المناسب لمواجهة والدها، وهي لا تهتم إن فعلت ذلك بشكل علني. احتاجت إلى فترة أسبوع لتتمكن من استجماع شجاعتها لتأتي إلى هنا. إن غادرت الآن، فهي لن تعود أبداً.

تجاهلت محاولات دايزي الضعيفة لمنعها. سارت غرايس عبر قاعة الاستقبال، واتجهت مباشرة نحو مكتب والدها، من دون أن تزعج نفسها حتى بطرق الباب.

لاحظت على الفور وجه والدها الشاحب وموقفه المضطرب، ففهمت دون أي حاجة إلى التركيز أن الشخص الذي يتكلم معه هو المسؤول عن اضطرابه. بعدئذٍ استدارت، ورأت رافايل يقف قرب المدفأة. لاحظت أن عينيه السوداوين تلمعان بالغضب، وأن كل ذرة في جسمه القوي تتوهج بانفعال بركاني ينشر الحرارة في الغرفة. ما الذي يفعله هنا؟

ما إن تذكرت المقالة، حتى شعرت بالارتباك والإحراج. فجأة، أرادت أن تستدير وتهرب. يبدو أن رافايل اكتشف ردة فعلها الفورية، لأنه قطع الغرفة بخطوتين. أمسك بيديها بين يديه، وضغط عليهما بقبضة من حديد.

- لن تذهبي إلى أي مكان. أعلم مدى كرهك للمواجهة، لكن عليك مواجهة هذا الوضع. هناك أمور يجب أن تقال.

كيف يمكنها أن تخبره أن المواجهة لا تخيفها، بل الإحساس بالذنب والإحراج من رؤيته، بعد كل ما قام به والدها؟

- أستطيع أن أفهم مدى غضبك، لكن...

- أنت على حق، أنا غاضب. لم أشعر يوماً بمثل هذا الغضب الحارق من قبل، والسبب كله يعود إليك.

تساءلت غرايس لماذا أصبحت لغته الإنكليزية فجأة غير واضحة، في حين أنه يتحدث بطلاقة بها. حدقت غرايس به، ولاحظت أنه يبدو متعباً بشكل لا يحتمل. هل عاد ليعمل طوال الليل من جديد؟

- لقد رأيتها. أليس كذلك؟ تلك المقالة المرعبة... أنا أيضاً غضبت كثيراً بسببها.

- أنا لا أتحدث عن المقالة. أتعتقدين حقاً أنني أهتم لأمر كهذا؟ أنا غاضب لأنك اختفيت عن وجه الكرة الأرضية لمدة أسبوع كامل، ولم يتمكن أحد من معرفة مكانك. كنت على وشك أن أطرد كل أفراد فريق الأمن في لندن، لأنهم غير كفوئين.

اتسعت عينا غرايس من الذهول، وقالت: «رافايل!».

- تخيلت أنك ميتة في مكان ما، وأن أحد الحمقى قتلك، بعد أن وثقت به، وعاملته بطريقة حسنة.

ضغط بشدة على ذراعيها وهو يسألها: «أين كنت؟».

ما زالت بحاجة إلى استجماع قوتها بسبب الصدمة من رؤيته هنا. لم تجب غرايس على الفور، فهزها رافايل قليلاً، وقال: «ألديك فكرة عما فعلته بي؟ طلبت من فريق الأمن لدي أن يجوب شوارع لندن بحثاً عنك طوال الأسبوع الماضي. أين كنت؟ قبطان الطائرة أكد لي أنك وصلت بأمان إلى المطار، ثم اختفيتِ. لماذا؟».

شعرت غرايس بجفاف في فمها، وهي تقول: «رأيت الصحيفة».

- وماذا بعد؟

- شعرت باستياء كبير لأجلك. شعرت بالاحراج والغضب بشكل لا يوصف من والدي، لذلك لم أرغب في مواجهته، حتى أهدأ قليلاً، وأفكر بما سأفعله.

WWW.HAMSAJEWELRY.COM

- لماذا لم تعودي مباشرة إلى الريو، وتهدئي عندي في الغابة؟

- أليس الأمر واضحاً؟ هناك ما يكفي من الناس الراغبين في بيع قصص عنك للصحف، وأنت لا تريد أية امرأة أخرى مثل زوجتك السابقة.

حدق بها رافايل غير مصدق، وقال: «لا علاقة لك مطلقاً بتلك القصة».

- هل تدرك ذلك حقاً؟

شعرت بسرور لا يوصف، وظهرت على وجهها ابتسامة مشعة كعينيها، وهي تتابع: «هل تعلمت فجأة أن تثق بالآخرين، رافايل؟».

ضغط قليلاً بأصابعه على ذراعيها، وأجاب: «لا! حسناً... لكن بك فقط».

أضاف بسرعة، وهو يضمها إليه: «أعلم أن لا علاقة لك بتلك القصة، فلماذا عملت على الاختباء فجأة؟».

- لأنك لست بحاجة إلى شخص مثل أبي في حياتك.

- هذا يكفي، أيتها الصغيرة!

تحدث والدها للمرة الأولى، وتقدم نحوها. بدا وجهه متجهماً وهو يقول: «عليك أن تظهري الاحترام عندما تتكلمين عني. يبدو أنكما نسيتما أنني هنا».

سمعت رافايل يزفر بقوة، فابتعدت عنه، وتقدمت نحو والدها. قالت: «لا! لم ننسَ، أبي. من الصعب أن يحدث ذلك. أما بالنسبة لإظهار الاحترام لك...».

ارتجف صوتها وهي تنظر إليه، و تلاحظ لأول مرة الخطوط الشريرة حول فمه، والبرودة القاسية في عينيه.

- ... فالاحترام أمر يستحقه المرء بجهده، وأنت لم تستحق ذلك يوماً. لم تفعل أمراً واحداً في حياتك تستحق عليه الاحترام.

زمجر والدها غاضباً، فيما أحنى كتفيه بغير إرادته: «راقبي ما تتلفظين به، أيتها الفتاة! لا أحد يتحدث معي بهذه الطريقة، لا سيما ابنتي. أنت لست كبيرة لدرجة أنني لا أستطيع صفعك».

اقترب رافايل منهما، وعيناه تنذران بالخطر. قال: «ضع إصبعاً واحداً عليها، وسأرسلك إلى مكان لن تحتاج فيه إلى المال أبداً».

هدده بذلك بنبرة قاسية، فوضعت غرايس يدها على ذراعه محاولة تهدئته.

- لن تمنعني من قول ما أنا بحاجة إلى قوله، أبي. لن أسمح لك بتهديدي بعد اليوم. أخذت أسبوعاً كاملاً لأستعد لهذا اللقاء، وهناك أمور يجب أن أخبرك بها. وأنت ستصغي إليّ.

شخر والدها بصوت كريه، وقال باستهزاء: «آه! أصبحت الآن كبيرة وشجاعة مع حارسك البرازيلي. أليس كذلك؟».

شعرت غرايس بالتوتر المتزايد في جسد رافايل، فأبقت يدها على ذراعه، وقالت: «لن تخيفني هذه المرة، ولن تجعلني أشعر بالذنب. جنيت ثروة مني، وأنا أعرف بالتحديد كم اختلست حتى آخر قرش. سرقت أرباحي مني... من ابنتك».

مجرد قولها لتلك الكلمات جعلها تشعر برغبة في البكاء، لكنها أجبرت نفسها على المضي قدماً، وقول ما يجب أن تقوله. إن لم تقل كل ما لديها الآن، فهي لن تحظى بالشجاعة لتفعل ذلك مرة ثانية.

- أخيراً سمحتُ لنفسي بالاعتراف بالحقيقة. أنت لست والداً جيداً، ولم تكن يوماً حنوناً ومتفهماً.

تقدم والدها خطوة نحوها، لكن لابد أنه لمح شيئاً ما ينبئ بالخطر في عيني رافايل، لأنه توقف فجأة، وحدق بها بغضب، وهو يقول: «قمت بأفضل ما أستطيع القيام به لأجلك، غرايس. كنت دائماً فتاة يصعب التعامل معها، ولا تشعرين بالامتنان لأحد».

WWW.ALMASAREWAIYA.COM JEWELRY

قالت غرايس وهي تهز رأسها: «لا! أنا لا أملك أياً من هذه الصفات، وأنت لم تقم بأفضل ما تستطيعه لأجلي. فعلت الأفضل لنفسك دائماً، حتى إنك لم تفكر بي يوماً. في المدرسة لم تفكر في مساعدتي، بل كنت تهتم لصورتك في عيون الآخرين، وبماذا سيفكر به الناس لأن لديك ابنة لا تجيد جمع الأرقام. عندما بدأت بالعمل، وحققت النجاح، لم تشعر بالفخر بي. على العكس من ذلك، استغليت ضعفي لتستولي على عملي، وتختلس مني المال. كيف أمكنك أن تفعل ذلك، أبي؟ كيف؟».

بدا والدها على وشك أن ينفجر من الغضب بسبب ما تقوله، ثم بدا وكأنه يفكر بالأمر. رفع كتفيه، ثم نظر بلمحة خاطفة نحو رافايل. لمعت عيناه، وقال: «حسناً! أنا فخور بك الآن، فقد حصلت على الجائزة الكبرى. تأكدي أنني سعيد من أجلك، غرايس».

ابتسم ابتسامة ماكرة، وتابع: «سنستفيد جميعنا من ذلك».

انفجر الغضب في داخلها، وصرخت به: «لا! لن تستفيد من أي شيء. كيف تجرؤ على أخذ المال من أولئك الناس الأبرياء؟ كنا نقوم بعمل جيد في مقاهي برازيل، وأنت لوثت سمعتنا. أخذت الطعام من أفواه الأبرياء وأولادهم».

زفر والدها بنفاد صبر، وقال: «حسناً! قلت كل ما لديك. يمكنك الانصراف الآن».

- لم أنتهِ بعد.

شعرت غرايس بركبتيها ترتجفان، ولم تكن تدرك أن أصابعها مغروسة في ذراع رافايل. تابعت: «سرقتني... أنا ابنتك، وهذا أمر مرعب، لكن القشة الأخيرة بالنسبة لي، هي أنك جنيت المال بالتحدث إلى الصحف عن رافايل. كيف يمكنك أن تنحدر إلى هذا المستوى؟».

رفع والدها كتفيه بلا اكتراث، وأجاب: «إن كانت الصحف قادرة

على دفع المال، فلنعطهم قصة. هذا ما فعلته».

استدارت غرايس والاشمئزاز يكاد يخنقها.

- أنت رجل وضيع بائس، حتى إنك لست مستعداً لبذل أي مجهود لتكسب المال بطريقة شريفة.

- وأنت خلوقة جداً وعظيمة.

أخيراً انفجر والدها، فتقدم نحوها. بدت ملامح وجهه بشعة جداً، وهو يتابع: «لماذا عليّ أن آخذ درساً في الأخلاق من فتاة غبية، بليدة الذهن، لا تستطيع حتى أن تجمع الأرقام؟».

بخطوة واحدة، مد رافايل يده، ولكمه بقوة، جعلت باتريك تاكر يرتطم بالحائط بضربة قاضية. شهقت غرايس من الصدمة.

- لا، رافايل! لا تفعل ذلك.

أمسكت بذراعه، وهي تشعر بالخوف من الغضب الصارخ الذي رأته على وجهه. استدار رافايل نحوها، وهو لا يصدق ما يحدث.

- بعد كل ما فعله بك، أما زلت تهتمين له؟

- لا.

هزت كتفيها، وترددت قليلاً قبل أن تخفض رأسها، وتقول: «حسناً! أجل. أعتقد أنني مازلت أهتم به، فهو ما زال أبي. تصرفه كان خاطئاً، وهذا أمر صعب جداً علي، لكنه كل عائلتي».

توقفت عن الكلام، ونظرت إلى والدها، والدموع تملأ عينيها. تابعت: «وربما لم أكن من أفضل البنات!».

- ها أنت تفعلين ذلك مجدداً؛ تعطين الأعذار للناس.

قال رافايل ذلك بعصبية، وهو متجهم الوجه. وكرر: «أنتِ دائماً تفعلين ذلك. يرميك الناس بالأمور السيئة، وأنت تمحّصين فيها بحثاً عن حبة واحدة من الخير».

- أجل، صحيح! هذه أنا، رافايل. آسفة لأنني لا أستطيع تغيير

WWW.HAMASATRMAYA.COM HAMASATRMAYA JEWELRY

ذاتي. أليس هذا ما أخبرتني به؟ بكل الأحوال، إن ضربته من جديد، فقد تسبب له الأذى بشكل قوي وخطير، وأنا لا أريدك أن تواجه المشاكل بسببي.

ابتسم رافايل بنعومة، وقال: «أنا فعلاً عرضة للمشاكل بسببك. عزيزتي! أنا في مشكلة كبرى».

لم تكن غرايس متأكدة مما يقصده. ترددت للحظة، ثم استدارت نحو والدها، الذي كان يترنح على قدميه، واضعاً يده على فكه. تقدمت نحوه، وهي ترمش بعينيها لتتخلص من دموعها.

- لا تفكر حتى بإخبار أحد عن تلك اللكمة، وإلا فأنني سآتي إليك بنفسي، وألكمك من جديد وبطريقة أقسى. ثم سأقدم فيك تقريراً للشرطة عن الاختلاس.

حرك والدها فكه بتأنٍ، وقال: «لن تتمكني مطلقاً من إثبات ذلك».

- لماذا؟ ألأنني بليدة الذهن، حمقاء، ولا أستطيع أن أجمع؟

ارتجف صوتها، وهي تنظر مجدداً إلى وجه والدها، وتتابع: «يمكنني أن أثبت ذلك. انشر خبراً واحداً عن رافايل، وأنا سأبرهن اختلاسك».

حدق والدها بها، وقال: «لن تفعلي ذلك بأبيك».

رفعت غرايس كتفيها، وأجابت: «في الواقع، هذا ما سأفعله. ما زلت والدي، وأنا أحبك، لكنني لست معجبة بك، ولا أكن لك الاحترام. أخبرني شخص ما مؤخراً أن عليّ أن أصبح أقوى، وقد اكتشفت أن ما قاله كان صحيحاً. سأبقى بعيدة عنك، حتى يتسنى لك الوقت لتفكر بما فعلته. عندما تصبح جاهزاً للاعتذار، يمكنك البدء برافايل. آه! هناك أمر آخر».

رفعت ذقنها، وأكملت: «المال الذي حصلت عليه من الصحيفة، أريدك أن تقدمه كمساعدة للحفاظ على الغابات المطيرة في البرازيل».

بعد ذلك شعرت بأصابع رافايل تمسك برسغها، وسمحت له أن يقودها لتخرج من الغرفة.

* * *

جلست غرايس على الأريكة في منزل رافايل الفخم في مايفير. حدقت من دون أن ترى إلى اللوحات المعلقة على الجدار. بعد مواجهتها لوالدها، جرها رافايل -بالمعنى الحرفي للكلمة- إلى داخل سيارته الليموزين المريحة، وأعطى تعليماته للسائق بأن يأخذهما إلى منزله. والآن ها هي تجلس بمفردها منذ عشر دقائق، فيما ذهب هو للرد على اتصال هاتفي ملحّ.

- آسف لأنني تركتك بمفردك.

عاد رافايل إلى الغرفة، وشتم بصوت هادئ، ما إن رآها تجلس جامدة.

- توقفي عن التفكير به. إنه لا يستحق اهتمامك.

تحركت غرايس، ونظرت إليه متسائلة: «كيف علمت أنني أفكر به؟».

- ذلك واضح، فأنا أعرفك. أنت تجلسين هنا، وتحاولين أن تجدي الأعذار لتصرفات والدك المرعبة.

مدّ يديه نحوها، كأنه يحاول أن يخفف من انزعاجه. جلس على حافة الأريكة وأمسك بيدها بين يديه.

- ليس هناك من عذر له. كان عليك أن تدعيني أضربه فعلاً، ثم تخبريه بعد ذلك أنه أصبح خارج حياتك.

هزت غرايس رأسها، وتمتمت: «لا يمكنني أن أفعل ذلك، فهو والدي».

انطلق رافايل بالتحدث باللغة البرتغالية، ثم تحول إلى الإنكليزية: «لا يمكنني تصديق ما تفعلينه حقاً! حاول والدك أن يدمرك، وما الذي

WWW.HAMASATREHAIYA.COM JEWELRY

فعلته؟ قلت له إنك تحبينه، مع أنه لا يستحق حبك».

- كل شخص يستحق أن يُحَب.

مسحت غرايس دموعها بأطراف أصابعها، فشتم رافايل، وجلس على الأريكة قربها.

- أنت منزعجة جداً الآن، لذا عليك أن تنسيه في الوقت الراهن.

تمكنت غرايس من الابتسام، وقالت: «صحيح! أنا آسفة لكل ما حدث. أنت تكره إظهار العواطف، وقد تعرضت إلى أحمال منها اليوم: أخبار الصحف، الشجار مع والدي، والمشاهد العاطفية. لابد أن اليوم هو من أسوأ الكوابيس في حياتك. كيف حال يدك؟».

- بخير. لا شيء مما ذكرته يمكن مقارنته بالضغط الذي شعرت به طوال الأسبوع الماضي.

أكد لها رافايل ذلك، وهو يضمها إليه متابعاً: «في اللحظة التي غادرت فيها، أدركت أنه ما كان عليّ أن أدعك ترحلين بمفردك. لم يكن هناك من مجال لأتركك تقابلين والدك وحدك».

- لكن تلك كانت معركتي، رافايل.

- أنت لم تخلقي للشجار والعراك، فليس هناك أية عدائية في شخصيتك. في اللحظة التي غادرت فيها، علمت أنني ارتكبت خطأ في السماح لك بالرحيل.

- ألهذا السبب أتيت في أثري؟

مدّ رافايل أصابعه، ورفع ذقنها مجيباً: «أجل! لم أستطع تحمل فكرة مواجهتك لوالدك، وبعد ذلك اكتشفت أنك اختفيت».

- عندما رأيت الصحيفة، شعرت بانزعاج لا يحتمل.

عضت غرايس على شفتها، وتابعت قائلة: «آسفة! أعلم أنك لا تحب الأحاديث العاطفية، لكن لا فكرة لديك عما تشعر به عندما تتخلى عنك عائلتك».

ساد الصمت بينهما لفترة طويلة، وشعرت أنه يتوتر من جديد. قال بنبرة قاسية: «في الواقع، أعرف تماماً ذلك الشعور».

جلست مستقيمة تحدق به، وسألته: «اعتقدت أن لا عائلة لديك. هل تخبرني أن والدك تخلى عنك؟».

- تخلى عني والدي قبل أن أولد، عندما ترك أمي لتهتم بي بمفردها.

نهض عن الأريكة وسار بخطى واسعة نحو النافذة، قبل أن يتابع: «عملت على تربيتي بمفردها، حتى أصبح عمري ثماني سنوات».

راقبته غرايس باهتمام وهو واقف يحدق بالشارع أمامه. سألته بلطف: «لم تذكر أبداً أمك من قبل. هل كنت تعيش في الريو؟».

لمعت عيناه بقسوة وبرودة. استدار يجيب: «أجل! عشنا في غرفة صغيرة، بالكاد تتسع لشخص واحد، فما بالك باثنين؟ كانت حياتنا بائسة، ثم التقت أمي برجل جديد».

- وأغرمت به؟

ابتسم رافايل ابتسامة باهتة، وظهرت السخرية في عينيه، وهو يحدق بوجهها.

- رومنسية كالعادة. أليس كذلك؟ لا، عزيزتي! لم يكن هناك أي حب أو غرام، لكنه كان ثرياً، فرأت أمي أن الزواج منه سيحسن مستوى حياتها بشكل مذهل. لكن كانت هناك مشكلة واحدة: لم يكن مستعداً للقبول بطفل من رجل آخر.

حدقت به غرايس مصدومة: «هل أخبرك بذلك؟».

- سمعتهما يتحدثان. كانا يناقشان موضوع إرسالي إلى مؤسسة للأطفال الأيتام.

هزت غرايس رأسها، رافضة أن تسمع ما سيقوله. قالت بنبرة مضطربة: «هي لم تقصد ذلك، بالطبع! ربما فكرت أنها لو جارته في ما

WWW.HIMASATREWAIYA.COM

يقوله، فهو سيفكر بالأمر ويضمك إلى العائلة».

- لم يكن يريد عائلة، غرايس! أو على الأقل، لا يريد ابن رجل غيره.

- هل وضعتك أمك في ملجأ للأطفال؟

- لا! لم أدعهما يفعلان ذلك. غادرت المنزل.

ابتسم رافايل بسخرية، وتابع: «أرأيتِ؟ حتى في عمر الثامنة، كنت مصمماً على السيطرة على قدري. لم يكن هناك من مجال لأسمح للدنيا أن تفعل بي ما تريده».

رفعت غرايس يديها إلى وجهها، وهزت رأسها، غير قادرة على تحمل فكرة أنه كان بمفرده في ذلك العمر اليافع. قالت باستغراب: «لكنك كنت في الثامنة من عمرك. كيف تمكنت من تولي مصيرك بنفسك؟ ما الذي فعلته؟ وإلى أين ذهبت؟».

- سرقت مالاً من محفظته، ثم جهزت حقيبة ملابسي، واستقليت الحافلة. ابتعدت بقدر ما سمح لي المال الذي كان معي.

صمت فجأة، ثم تابع بنبرة خالية من أية عاطفة: «نزلت من الحافلة، ووقفت بجانب الطريق، متسائلاً عما سأفعله بحق السماء! فجأة أدركت أن لا شيء معي لكي آكل أو أشرب، كما أنه ليس هناك أي مكان لأنام فيه».

امتلأت عينا غرايس بالدموع، وقالت: «لابد أنك كنت خائفاً جداً ووحيداً».

- حسناً! أدركت أن بقائي في الطريق سيدفع أحدهم لالتقاطي وإعادتي إلى ريو. لهذا بدأت بالسير في الغابة الاستوائية.

حدقت به مرتعبة، وقالت: «الغابة الاستوائية؟».

تذكرت تجربتها الخاصة في ذلك المكان.

- هل... تجولت في الغابة بمفردك، وأنت في الثامنة من عمرك

فقط؟ ذلك عمل محفوف بالمخاطر، فالأفاعي والعناكب والزواحف...

- لم أنزعج أبداً من الأفاعي والعناكب، لكنني كرهت كثيراً النمل، كما أن الأصوات أرعبتني في البداية.

- في البداية؟ كم من الوقت بقيت في الأدغال؟

- شهراً كاملاً.

نهضت غرايس من مكانها قائلة: «هل عشت في الغابة لمدة شهر كامل... بمفردك؟ لكنك كنت مجرد طفل، رافايل. كيف فعلت ذلك؟ ما الذي أكلته، وشربته؟».

رفع رافايل كتفيه، وقال: «أكلت الفاكهة كالتوت والعليق، وشربت مياهاً من المحتمل أنه ما كان عليّ أن أشربها، لكنها لم تسبب لي أي ألم. صحيح أنني كنت نحيلاً جداً في الوقت الذي وجدوني فيه في نهاية الأمر».

- هل وجدتك أمك؟

ابتسم وهو يهز رأسه مستغرباً: «آه، لا! أشك في أنها أزعجت نفسها بالبحث عني. أنا متأكد أنها شعرت بالارتياح لتخلصها من تلك المشكلة في حياتها».

- من وجدك إذاً؟

- كارلوس.

- أتعني كارلوس الذي يملك الفازيندا؟

- صحيح! تجولت حتى وصلت إلى أرضه، فأخذني إلى منزله، وقامت فلومينا بالاعتناء بي. أطعماني، وقدما لي الثياب، لأن ثيابي أصبحت بالية، وبعدها عرفا قصتي بالتدريج.

- لكنهما لم يبعداك عنهما؟

- آه، لا! لم يفعلا ذلك. عملا على تربيتي، ولم أفارقهما أبداً.

WWW.LAMASATREWAYA.COM

همست غرايس:

- إذاً، لهذا السبب أنت تحبهما كثيراً.

قطب رافايل جبينه، كأنه لم يفكر من قبل بالرباط القوي بينه وبينهما.

- أنا أدين لهما بكل شيء. لقد أعطياني منزلاً وأماناً.

- لكنهما لم يستطيعا التعويض عما فعلته بك أمك.

سارت غرايس نحوه، ومدّت يديها إليه، وهي تتابع: «لا عجب أنك لا تثق بالنساء. لا يتعلق الأمر فقط بزوجتك السابقة. أليس كذلك؟ بدأ الأمر منذ فترة طويلة... طويلة جداً. عندما كنت صغيراً جداً».

تردد رافايل قليلاً، ثم أمسك بيديها، وقال: «أعتقد أنني كنت سريع التأثر يومها، ووصلتني رسالة أن المرأة قادرة على القيام بأي شيء لتحصل على ما تريده، حتى التضحية بابنها. ما فعلته آمبير مشابه لما فعلته أمي. استعملت الحمل كوسيلة لتجعلني أتزوج بها، ولم أجد يوماً أي سبب يجعلني أبدل نظرتي إلى النساء».

حدق في عينيها قبل أن يتابع: «حتى التقيت بك، لذا أنا مدين لك بالاعتذار».

اتسعت عيناها وسألته: «على ماذا؟».

ضغط بأصابعه على يديها، وأجاب: «لأنني لم أصدق أنك بريئة. لكن الأمر غرايس... أنني لم أصادف يوماً الحقيقة والبراءة من قبل، لذا لم أتمكن من التعرف عليهما عندما التقيتهما أخيراً».

- لست مجبراً على الاعتذار.

- سببت لك الألم بعدم تصديقك. كما أنني سببت لك الأذى لأنني لم أستعمل كلمات رومنسية عندما عانقتك.

شتم بصوت خافت، وضمها إليه متابعاً: «لا فائدة مني مع

العواطف، غرايس. إنها عالم غريب عني. أنا لا أعرف الكلمات المناسبة لأستخدمها. عليك أن تعلميني تلك الأمور».

شعرت غرايس بقلبها يضرب بقوة في صدرها، فهزت رأسها، وهي تقول بنبرة ناعمة: «لا أهمية للأمر. أنا أعلم أنك لا تستطيع أن تقول تلك الكلمات، وأعلم أنك لا تحب الارتباط، فلا داعي للكلام إن كنت لا ترغب بذلك».

مررت أصابعها فوق جبهته وهي تتابع: «أنا أحبك، رافايل. ولا أتوقع منك أن تحبني بالمقابل، لكنني أريد فرصة لأجعلك سعيداً، مادمت تريد ذلك».

جمد رافايل للحظة، وقال: «هل تحبينني حقاً؟».

- بالطبع! كيف يمكنك أن تشك بذلك؟

- لكنك لم تعودي إلى ريو. اختفيت أسبوعاً كاملاً، ولو لم أتبعك إلى هنا لبقيت بعيدة عني وعن كل ما يمت لي بصلة.

- اعتقدت أن هذا سيكون لصالحك، فوالدي سيسبب المشاكل بيننا بصورة دائمة.

- انسي أمر والدك، فأنا سأهتم به.

حدق بعينيها، وتابع: «لماذا تريدين البقاء معي؟ ما الذي ستحصلين عليه بالمقابل؟».

ابتسمت غرايس وهي تجيب: «أحصل على رؤية الطيور والفراشات، وأسبح في بركة الغابة، لكن الأهم من هذا كله سأعيش قرب الرجل الذي جعلني أشعر أنني امرأة مميزة لأول مرة في حياتي».

امتلأت عينا رافايل بالظلال، ثم قال: «ربما يجدر بي أن أقول لك إنك يجب أن تهربي، وإنني لست الرجل المناسب لك، لأنني لم أكن شخصاً جيداً مع الآخرين طوال حياتي.

- أنا لن أهرب، وما قلته لي لن يحدث أي فرق، فأنا أحبك.

WWW.HAMASATRAWAIA.COM JEWELRY

أمسك رافايل بوجهها بين يديه، وظل ينظر إليها لفترة طويلة، لدرجة أنها بدأت تشعر بالقلق.

- ماذا؟ ما الأمر؟

شعرت بأنفاسه تتقطع. ظهر القلق على وجهها، وسألته: «رافايل! ما بك؟».

- أنا أيضاً... أحبك!

تلفظ بتلك الكلمات بتردد، متخلياً عن ثقته المعهودة بنفسه. فشعرت غرايس بقلبها يقفز في صدرها.

- لم أعتقد مطلقاً أنني سأقول هذه الكلمات لأية امرأة. لم أفكر مطلقاً أنني قادر على الإحساس بالحب، لكن هذا ما حدث.

فتحت فمها لتقول شيئاً ما، لكنه هز رأسه، وتابع بنبرة مضطربة: «لا تقاطعيني!».

لمعت عيناه بالمرح، وهو يتابع: «لم أفعل ذلك مطلقاً من قبل، لذا فقد أرتكب الأخطاء إن قاطعتني».

لم تشعر غرايس بالقدرة على الكلام على أي حال، فوقفت جامدة، وهي تشعر كأنها احتجزت في فقاعة من السعادة.

- وصلتِ إلى الغاية مليئة بالحماسة والتفاؤل. قطعت تلك المسافة الطويلة من أجل التحدث إلي، في محاولة منك لإنقاذ عملك، وبغض النظر عما فعلته أو قلته، وبالرغم من أنني كنت مرعباً، بدا من المستحيل عليكِ أن تجدي أنني شخص سيء.

قالت بهدوء: «لم أرَ أنك شخص سيء، بل رأيت أنك تعاني من الألم والضياع. لم أرَ فيك شيئاً يدل على أنك شخص شرير وسيء».

- تجولت عبر الأدغال من دون أن تتفوهي بأية كلمة تذمر.

نظر رافايل مباشرة إلى عينيها، وهو يتابع: «فكرت بك كثيراً. احتجت إلى عدة أيام كي أستوعب الأمر، لكنني فهمت في النهاية.

لماذا فعلت ذلك، غرايس؟ لماذا أنت مستعدة لهذا العطاء؟».

الجواب على ذلك سهل جداً...

- لأنني أردت ذلك. أعتقد أنني أغرمت بك على الفور، مع أنني أعلم أنه لا يمكن تصديق ما أقوله. أردت فقط أن أكون معك، بأية طريقة ممكنة. لم أهتم للظروف وللنتائج.

تمتم وهو يضع ذراعيه حولها من جديد، ويضمها إليه: «لم أقابل يوماً امرأة مثلك. أنت كريمة بشكل لا يصدق، ولا تطلبين أي شيء بالمقابل».

لمعت عينا غرايس بالمرح، وهي ترفع نظرها إليه وتقول: «هذا غير صحيح. جعلتك تجلس معي لساعات لتعلمني تقنية إجراء الحسابات. معظم الناس يعتبرون ذلك عذاباً حقيقياً».

عانقها رافايل قائلاً: «ليس بالنسبة لي. أنت تدركين بالطبع أنني لن أدعك ترحلين بعد اليوم».

- أحقاً؟

- لا.

رفع يديها، وشعرت به يمرر شيئاً ما في إصبعها.

- ما هذا؟ آه...!

حدقت بإعجاب بحبة الماس الكبيرة التي تزين يدها الآن، فملأت الدموع عينيها. قالت: «قلت لك، إنني لا أريد هدايا».

أخبرها بنبرة متعالية: «هذا ليس هدية، إنه حالة من التملك، وهو سمة مشتركة بيننا تخبر العالم كله أنك لي. لا تنزعيه أبداً».

لمست غرايس الخاتم الماسي بقلق، فيما شعرت بالارتباك مما قصده.

- أتطلب مني أن ألبس خاتمك؟

- أطلب منك أن تتزوجي بي.

WWW.HMASATREWAIYA.COM JEWELRY

تابع بنبرة رقيقة: «أريد أن نبقى معاً إلى الأبد».

شعرت بالدموع تخز عينيها. مسح رافايل بإبهامه دمعة انهمرت فوق خدها، وأضاف: «دعيني أخبرك أمراً هاماً، غرايس! أنتِ أعطيتني ثقتك التي لا أستحقها، وحبك غير المتناهي وغير المشروط. لم يقدم لي أحد مثل ذلك من قبل. رأيتِ فيّ صفات خيّرة، في حين أنني لم أقدم لك إلا السوء والشر. كما أنك أعطيتني الأمل».

ابتلعت غرايس غصة في حلقها، وقالت: «رافايل!».

- أحبكِ!

ابتسم رافايل بمكر، وعلق: «آه! أصبح من السهل عليّ قول ذلك: أحبك!».

ابتسمت له من بين دموعها وقالت: «أنا أحبك أيضاً... أحبك كثيراً رافايل».

- ما رأيك إذاً بشهر عسل طويل في الغابات المطيرة؟».

ضمها رافايل بين ذراعيه، وعانقها. فهو يعرف مسبقاً الإجابة عن سؤاله هذا!

WWW.HAMSATREWAIYA.COM JEWELRY